

زواج النبي صلى الله عليه وسلم

## في شهر شوال

(٢٩ شوال ١٤٣٦ هـ)

لأبي عبد الرحمن

عبد الرقيب بن علي بن أحمد أبو عبد الرحمن الكوكباني

كان الله له في الدارين

بمسجد أم القرى صنعاء

حرسها الله



بسم الله الرحمن الرحيم

## مقدمة

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا  
وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا  
إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما  
كثيرا، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١)</sup>،  
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ  
مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ  
رَقِيبًا﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا \* يُصْلِحْ لَكُمْ  
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾<sup>(٣)</sup>. أما  
بعد:

<sup>(١)</sup> سورة آل عمران: (١٠٢).

<sup>(٢)</sup> سورة النساء: (١).

<sup>(٣)</sup> سورة الأحزاب: (٧٠-٧١).

فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون، ما أجمل أن نتوّج ختام هذا الشهر -الذي هو شهر شوال- بشذرات من هدي النبي صلى الله عليه وسلم. نقف مع حديث من أحاديث رسول الله المبيّنة لهديه وآدابه وشمائله وأخلاقه.

في صحيح مسلم تحت الباب الذي بوّبه النووي أو القاضي عياض: باب استحباب التزوج والتزويج في شوال، واستحباب الدخول فيه.

قال مسلم في صحيحه<sup>(٤)</sup>: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وزهير بن حرب، واللفظ لزهير، قالوا: حدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن إسماعيل بن أمية، عن عبد الله بن عروة، عن عروة، عن عائشة، قالت: تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال، وبنى بي في شوال، فأني نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحظى عنده مني؟ قال: وكانت عائشة تستحب أن تدخل نساءها في شوال.

<sup>(٤)</sup> برقم (١٤٢٣).

هذا الحديث المخرّج في صحيح مسلم حديث مبارك. نقف معه وقفات فيها فوائد إن شاء الله.

صحابي الحديث: أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها الطاهرة العفيفة الصديقة بنت الصديق. هي عائشة بنت أبي بكر عبد الله الصديق بن عثمان رضي الله عنهما. هذه المرأة التي نجد فضائلها ومناقبها وشئائلها في صحيح السنة المطهرة، بل في كتاب الله العزيز، فهي التي برّأها الله مما رماها أهل الإفك، برّأها من فوق سبع سموات. ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾<sup>(٥)</sup> لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ \* لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ \* لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ

---

<sup>(٥)</sup> قال الإمام ابن كثير رحمه الله: هذه العشر الآيات كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين، رضي الله عنها، حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت والفرية التي غار الله تعالى لها ولنبيه، صلوات الله وسلامه عليه، فأنزل الله عز وجل براءتها صيانة لعرض الرسول، عليه أفضل الصلاة والسلام فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ﴾ أي: جماعة منكم، يعني: ما هو واحد ولا اثنان بل جماعة، فكان المقدم في هذه اللعنة عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، فإنه كان يجمعه ويستوشيه، حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين، فتكلموا به، وجوزه آخرون منهم، وبقي الأمر كذلك قريبا من شهر، حتى نزل القرآن، وسياق ذلك في الأحاديث الصحيحة. ("تفسير القرآن العظيم" / ٦ / ص ١٩).

الله هُمُ الْكَاذِبُونَ \* وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ \* إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ \* وَلَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ \* يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ<sup>(٦)</sup> \* وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ \* إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ \* وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ ﴿النور: ١١﴾.

<sup>(٦)</sup> قال الإمام القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا﴾ يعني في عائشة، لأن مثله لا يكون إلا نظير القول في المقول عنه بعينه، أو فيمن كان في مرتبته من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، لما في ذلك من أذائه رسول الله صلى الله عليه وسلم في عرضه وأهله، وذلك كفر من فاعله. —إلى قوله:— أهل الإفك رموا عائشة المطهرة بالفاحشة فبرأها الله تعالى فكل من سبها بما برأها الله منه مكذب لله، ومن كذب الله فهو كافر. ("الجامع لأحكام القرآن" / ١٢ / ص ٢٠٥).

وقال الإمام ابن النحاس رحمه الله: وقد نقل غير واحد من الأئمة الإجماع على تكفير من سب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها واختلف العلماء في تكفير من سب أبا بكر وعمر رضي الله عنهما وكذلك فيمن سب غيرهما من الصحابة رضي الله عنهم. والأقوال في ذلك كثيرة جدا، والحاصل منها أن الساب دائر بين ارتكاب كفر أو كبيرة من الكبائر. ("تنبيه الغافلين" / ص ١٦٣ / ط. رئاسة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).

خَرَجَ الشَّيْخَانِ فِي صَحِيحِيهِمَا عَنْ عَائِشَةَ قِصَّةَ الْإِفْكِ بِطَوْلِهَا<sup>(٧)</sup> وَدَفَاعَ اللَّهِ عَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ الطَّاهِرَةِ الَّتِي هِيَ زَوْجُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَلِذَلِكَ لَمَّا كَانَ مِنْهَا مَا كَانَ فِي ذَهَابِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا وَأَمَلَ الصَّالِحُونَ لَهَا أَنْ تَبْقَى فِي بَيْتِهَا عَمَلًا بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣]

ولكن كان ما كان وهذا أمر الله ولها فيه عذرهما إذ أرادت إصلاح ذات البين، قال عمار بن ياسر كما في صحيح البخاري<sup>(٨)</sup>: «إن عائشة قد سارت إلى البصرة، ووالله إنها لزوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكُم، ليعلم إياه تطيعون أم هي»<sup>(٩)</sup>.

---

<sup>(٧)</sup> قال الإمام النووي رحمه الله في فوائد حديث الإفك: الحادية والأربعون: براءة عائشة رضي الله عنها من الإفك، وهي براءة قطعية بنص القرآن العزيز. فلو تشكك فيها إنسان والعياذ بالله صار كافراً مرتداً بإجماع المسلمين. قال ابن عباس وغيره: لم تزن امرأة نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وهذا إكرام من الله تعالى لهم. ("المنهاج" / ١٧ / ص ١١٦ / دار المعرفة).

<sup>(٨)</sup> برقم (٧١٠٠)

<sup>(٩)</sup> قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: حديث عمار: (إني لأعلم أنها زوجته) أي زوجة النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة وعند بن حبان من طريق سعيد بن كثير عن أبيه حدثتنا عائشة أن النبي صلى الله عليه

ولهذا كانت أم سلمة تقول لا يحركني ظهر بعير حتى ألقى النبي صلى الله عليه وسلم.

ولكن شاهدنا قول عمار بن ياسر رضي الله عنهما - وكان في الفئة التي كانت على الصواب وكتبت لها الغلبة، فئة علي بن أبي طالب رضي الله عنه<sup>(١٠)</sup>،

---

وسلم قال لها: (أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة). فلعل عمارا كان سمع هذا الحديث من النبي صلى الله عليه وسلم وقوله في الحديث لتتبعوه أو إياها قيل الضمير لعل لأنه الذي كان عمار يدعو إليه. والذي يظهر أنه لله والمراد باتباع الله اتباع حكمه الشرعي في طاعة الإمام وعدم الخروج عليه ولعله أشار إلى قوله تعالى وقرن في بيوتكن فإنه أمر حقيقي خوطب به أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ولهذا كانت أم سلمة تقول لا يحركني ظهر بعير حتى ألقى النبي صلى الله عليه وسلم. والعذر في ذلك عن عائشة أنها كانت متأولة هي وطلحة والزبير وكان مرادهم إيقاع الإصلاح بين الناس وأخذ القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنهم أجمعين وكان رأي علي الاجتماع على الطاعة وطلب أولياء المقتول القصاص ممن يثبت عليه القتل بشروطه. ("فتح الباري" / لابن حجر / ٧ / ص ١٠٨).

<sup>(١٠)</sup> عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين، يقتلها أولى الطائفتين بالحق». (أخرجه مسلم (١٠٦٤)).

قال الإمام النووي رحمه الله: وفيه حجة لأهل السنة أن علياً كان مصيباً في قتاله والآخرين بغاة لاسيما مع قوله صلى الله عليه وسلم يقتلهم أولى الطائفتين بالحق وعلي وأصحابه الذين قتلوهم. ("شرح النووي على مسلم" / ٧ / ص ١٦٦).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ولهذا كان علي وأصحابه أولى بالحق وأقرب إلى الحق من معاوية وأصحابه كما في الصحيحين عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (تمرق مارقة على حين فرقة من المسلمين فتقتلهم أولى الطائفتين بالحق). وروي في الصحيح أيضاً: (أدنى الطائفتين إلى الحق). وكان



ولكنه قال هذه الكلمة التي تنضح بالخير والثناء على أم المؤمنين: (والله إنها لزوج نبيكم في الدنيا والآخرة وإن الله مبتليكم بها لينظر إياه تطيعون أم إياها).

ومن فضائلها: أنها خير النساء عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير قرابته، وكانت فاطمة رضي الله عنها خير النساء عند رسول الله من قرابته.

---

سب علي ولعنه من البغي الذي استحققت به الطائفة أن يقال لها: الطائفة الباغية؛ كما رواه البخاري في صحيحه عن خالد الحذاء عن عكرمة قال: قال لي ابن عباس ولابنه علي: انطلقا إلى أبي سعيد واسمعا من حديثه فانطلقنا فإذا هو في حائط يصلحه فأخذ رداءه فاحتبى به ثم أنشأ يحدثنا حتى إذا أتى علي ذكر بناء المسجد فقال: كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فجعل ينفض التراب عنه ويقول: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار) قال: يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن. ورواه مسلم عن أبي سعيد أيضا قال: أخبرني من هو خير مني أبو قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعمار - حين جعل يحفر الخندق - جعل يمسح رأسه ويقول: (بؤس ابن سمية تقتله فئة باغية). ورواه مسلم أيضا عن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (تقتل عمارا الفئة الباغية). وهذا أيضا يدل على صحة إمامة علي ووجوب طاعته وأن الداعي إلى طاعته داع إلى الجنة والداعي إلى مقاتلته داع إلى النار - وإن كان متأولا - وهو دليل على أنه لم يكن يجوز قتال علي وعلى هذا فمقاتلته مخطئ وإن كان متأولا أو باغ بلا تأويل وهو أصح القولين لأصحابنا. ("مجموع الفتاوى" / ٤ / ص ٤٣٧-٤٣٨).

وقال ابن حجر رحمه الله: وفي هذا وفي قوله صلى الله عليه وسلم: (تقتل عمارا الفئة الباغية) دلالة واضحة على أن عليا ومن معه كانوا على الحق وأن من قاتلهم كانوا مخطئين في تأويلهم والله أعلم. ("فتح الباري" / ٦ / ص ٦١٩).

ولذلك جاء في الصحيحين<sup>(١١)</sup> عن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة». فقلت: من الرجال؟ فقال: «أبوها». قلت: ثم من؟ قال: «عمر بن الخطاب». فعَدَّ رجالاً، فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم<sup>(١٢)</sup>.

وجاء في حديث بريدة رضي الله عنه<sup>(١٣)</sup> قال: كان أحب النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة ومن الرجال علي.

---

<sup>(١١)</sup> أخرجه البخاري (٣٦٦٢) ومسلم (٢٣٨٤).

<sup>(١٢)</sup> قال النووي رحمه الله: هذا تصريح بعظيم فضائل أبي بكر وعمر وعائشة رضي الله عنهم وفيه دلالة بينة لأهل السنة في تفضيل أبي بكر ثم عمر على جميع الصحابة. ("شرح النووي على مسلم" / ١٥ / ص ١٥٣).

<sup>(١٣)</sup> أخرجه الترمذي (٣٨٦٨) من طريق إبراهيم بن سعيد الجوهري قال: حدثنا الأسود بن عامر، عن جعفر الأحمر، عن عبد الله بن عطاء، عن ابن بريدة، عن أبيه به.

وأخرجه الحاكم (٤٧٣٥).

إبراهيم بن سعيد الجوهري ثقة.

الأسود بن عامر هو أبو عبد الرحمن الشامي، ثقة. ("تهذيب التهذيب" / ١ / ص ٣٤٠).

جعفر الأحمر هو جعفر بن زياد الأحمر، كما في مستدرک الحاكم. قال فيه أبو داود: صدوق شيعي. وقال حسين بن علي بن جعفر الأحمر: كان جدي من رؤساء الشيعة. وقال ابن عدي: هو صالح شيعي. وقال ابن

فجمع أهل العلم أن هذه الأفضلية في قرابته وأهل بيته<sup>(١٤)</sup>، وتلك فيمن سواهم.

---

حبان في "الضعفاء": كثير الرواية عن الضعفاء. وإذا روى عن الثقات تفرد عنهم بأشياء في القلب منها شيء. وقال الدارقطني: يعتبر به. ("تهذيب التهذيب" / ٢ / ص ٩٣).

عبد الله بن عطاء هو الطائفي الكوفي صدوق يخطيء ويدلس. ("تقريب التهذيب" / ص ٣١٤).

وقد رواه عبد الله بن عطاء معنعناً وهو مدلس.

وهذا الحديث من تفردات جعفر بن زياد الأحمر الشيعي.

وهذا الحديث مما يقوي مذهب الشيعة.

فالحديث ضعيف.

فمن أجل ذلك بعد أن أخرجه الترمذي قال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. ("سنن الترمذي" / ٥ / ص ٦٩٨).

بل الإمام الألباني رحمه الله قال في هذا الحديث: باطل.

وقال رحمه الله: وإنما حكمت على الحديث بالبطلان من حيث المعنى لأنه مخالف لما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في أحب النساء والرجال إليه كما يأتي. ("سلسلة الأحاديث الضعيفة" / ٣ / ص ٢٥٤).

<sup>(١٤)</sup> قال شيخ الإمام الترمذي -إبراهيم بن سعيد- بعد روايته لهذا الحديث: يعني من أهل بيته. ("سنن الترمذي" / ٥ / ص ٦٩٨).

نعم أيها المسلمون. روى الشيخان في صحيحيهما<sup>(١٥)</sup> من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: «فضل عائشة على النساء، كفضل الثريد<sup>(١٦)</sup> على سائر الطعام»<sup>(١٧)</sup>.

والثريد هو الخبز المعدوم باللحم، كما قيل:

إذا ما الخبز تأدمه بلحم فذاك أمانة الله الثريد<sup>(١٨)</sup>

---

<sup>(١٥)</sup> أخرجه البخاري (٣٧٧٠) ومسلم (٢٤٤٦).

<sup>(١٦)</sup> قال الإمام ابن القيم رحمه الله: والثريد وإن كان مركبا، فإنه مركب من خبز ولحم، فالخبز أفضل الأقوات، واللحم سيد الإدام، فإذا اجتماعا لم يكن بعدهما غاية. وتنازع الناس أيهما أفضل؟ والصواب أن الحاجة إلى الخبز أكثر وأعم، واللحم أجل وأفضل، وهو أشبه بجوهر البدن من كل ما عداه، وهو طعام أهل الجنة. ("زاد المعاد في هدي خير العباد" / ٤ / ص ٢٧١).

<sup>(١٧)</sup> وجاء من حديث أبي موسى، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام». (أخرجه البخاري (٣٤٣٣) ومسلم (٢٤٣١)).

<sup>(١٨)</sup> ذكره الإمام ابن القيم رحمه الله في "زاد المعاد" (٤/ص ٣٤١)، وابن حجر في "فتح الباري" (٧/ص ١٠٨).

ومن مناقب هذه الطاهرة الصديقة بنت الصديق: أنها أثرت الله ورسوله والدار الآخرة على زخرف الحياة الدنيا وزينتها. وهي التي بدى بها بالتخير لما نزلت آية التخير<sup>(١٩)</sup>.

ولما غاضب رسول الله الله نساءه لما كثرن عليه يسألنه النفقة فاعتزلهن شهراً، وحلف ألا يأتيهن شهراً وفي مشروبه أنزل الله آية التخير: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا \* وَإِن كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٨، ٢٩].<sup>(٢٠)</sup>

<sup>(١٩)</sup> عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءها حين أمره الله أن يخير أزواجه، فبدأ بي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «إني ذاكرك لك أمراً، فلا عليك أن لا تستعجلي حتى تستأمرني أبويك» وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: «إن الله قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ﴾ [الأحزاب: ٢٨] إلى تمام الآيتين، فقلت له: ففي أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة. (أخرجه البخاري (٤٧٨٥) ومسلم (١٤٧٥)).

<sup>(٢٠)</sup> عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر رضي الله عنه عن المرأتين من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتين قال الله لهما: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤] فحججت معه، فعدل وعدلت معه بالإداوة، فتبرز حتى جاء، فسكبت على يديه من الإداوة فتوضأ، فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتان من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم اللتان قال الله عز وجل لهما: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى

الله فقد صغت قلوبكم﴾ [التحريم: ٤]؟ فقال: واعجبني لك يا ابن عباس، عائشة وحفصة، ثم استقبل عمر الحديث يسوقه، فقال: إني كنت وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد، وهي من عوالي المدينة، وكنا نتأوب النزول على النبي صلى الله عليه وسلم، فينزل يوما وأنزل يوما، فإذا نزلت جئته من خبر ذلك اليوم من الأمر وغيره، وإذا نزل فعل مثله، وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على الأنصار إذا هم قوم تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يأخذن من أدب نساء الأنصار، فصحت على امرأتي، فراجعتي، فأنكرت أن تراجعني، فقالت: ولم تنكر أن أراجعك، فوالله إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ليراجعنه، وإن إحداهن لتهجره اليوم حتى الليل، فأفزعني، فقلت: خابت من فعل منهن بعظيم، ثم جمعت علي ثيابي، فدخلت على حفصة، فقلت: أي حفصة أتغاضب إحداكن رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم حتى الليل؟ فقالت: نعم، فقلت: خابت وخسرت أفتأمن أن يغضب الله لغضب رسوله صلى الله عليه وسلم، فتهلكين لا تستكثري على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا تراجعيه في شيء، ولا تهجريه، واسأليني ما بدا لك، ولا يغرنك أن كانت جارتك هي أوضأ منك، وأحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - يريد عائشة - وكنا تحدثنا أن غسان تنعل النعال لغزونا، فنزل صاحبي يوم نوبته فرجع عشاء، فضرب بابي ضربا شديدا، وقال: أناثم هو، ففزعت، فخرجت إليه، وقال: حدث أمر عظيم، قلت: ما هو؟ أجاءت غسان؟ قال: لا، بل أعظم منه وأطول طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه، قال: قد خابت حفصة وخسرت، كنت أظن أن هذا يوشك أن يكون، فجمعت علي ثيابي، فصليت صلاة الفجر مع النبي صلى الله عليه وسلم، فدخل مشربة له، فاعتزل فيها، فدخلت على حفصة، فإذا هي تبكي، قلت: ما يبكيك؟ أولم أكن حذرتك، أطلقكن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: لا أدري هو ذا في المشربة، فخرجت، فجئت المنبر، فإذا حوله رهط يبكي بعضهم، فجلست معهم قليلا، ثم غلبني ما أجد، فجئت المشربة التي هو فيها، فقلت لغلام له أسود: استأذن لعمر، فدخل، فكلّم النبي صلى الله عليه وسلم، ثم خرج فقال: ذكرت لك، فصمت، فانصرفت، حتى جلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد، فجئت، فذكر مثله، فجلست مع الرهط الذين عند المنبر، ثم غلبني ما أجد، فجئت الغلام فقلت: استأذن لعمر، فذكر مثله، فلما وليت منصرفا، فإذا الغلام

قالت عائشة: أفي هذا أستأمر أبوي، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة.

يدعوني قال: أذن لك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخلت عليه، فإذا هو مضطجع على رمال حصير ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرمال بجنبه متكئ على وسادة من آدم حشوها ليف، فسلمت عليه، ثم قلت وأنا قائم: طلقت نساءك، فرفع بصره إلي، فقال: «لا»، ثم قلت وأنا قائم: أستأنس يا رسول الله، لو رأيته لو رأيتني وكنا معشر قريش نغلب النساء، فلما قدمنا على قوم تغلبهم نساؤهم، فذكره فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قلت: لو رأيته، ودخلت على حفصة، فقلت: لا يغرنك أن كانت جارتك هي أوضأ منك، وأحب إلى النبي صلى الله عليه وسلم - يريد عائشة -، فتبسم أخرى، فجلست حين رأيته تبسم، ثم رفعت بصري في بيته، فوالله ما رأيته فيه شيئاً يرد البصر غير أهبة ثلاثة، فقلت: ادع الله فليوسع على أمتك، فإن فارس والروم وسع عليهم، وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون الله، وكان متكئاً فقال: «أوفي شك أنت يا ابن الخطاب أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا»، فقلت: يا رسول الله، استغفر لي، فاعتزل النبي صلى الله عليه وسلم من أجل ذلك الحديث حين أفشته حفصة إلى عائشة، وكان قد قال: «ما أنا بداخل عليهن شهراً من شدة موجدته عليهن، حين عاتبه الله» فلما مضت تسع وعشرون، دخل على عائشة، فبدأ بها، فقالت له: عائشة إنك أقسمت أن لا تدخل علينا شهراً، وإنا أصبحنا لتسع وعشرين ليلة أعدها عداء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «الشهر تسع وعشرون»، وكان ذلك الشهر تسعاً وعشرين، قالت عائشة: فأنزلت: آية التخيير فبدأ بي أول امرأة، فقال: «إني ذاك لك أمراً، ولا عليك أن لا تعجلي حتى تستأمري أبويك»، قالت: قد أعلم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقك، ثم قال: "إن الله قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأُزَاجِكُمُ﴾ [الأحزاب: ٢٨] إلى قوله: ﴿عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧]"، قلت: أفي هذا أستأمر أبوي، فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، ثم خير نساءه، فقلن مثل ما قالت عائشة. (أخرجه البخاري (٢٤٦٨) ومسلم (١٤٧٨)).

وكان جواب سائر نسائه مثل ما قالت عائشة<sup>(٢١)</sup>. رضي الله عنهن وأرضاهن.

ولذلك أكرمهن الله بأن كن زوجاته في الدنيا والآخرة لأنهن آثرن ما عند الله على متاع الحياة الدنيا وصبرن على شدة العيش حتى لقين الله عز وجل وأكرمهن بالملازمة والجوار لنعم الجوار لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

معاشر المسلمين، هذه المرأة الطاهرة يسلم عليها جبريل أمين من في السماء وخير ملائكة الله على الإطلاق.

---

<sup>(٢١)</sup> قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: والله أعلم وفي الحديث ملاطفة النبي صلى الله عليه وسلم لأزواجه وحلمه عنهن وصبره على ما كان يصدر منهن من إدلال وغيره مما يبعثه عليهن الغيرة. وفيه فضل عائشة لبداءته بها كذا قرره النووي. -إلى قوله: - وفيه: أن صغر السن مظنة لنقص الرأي. قال العلماء: إنما أمر النبي صلى الله عليه وسلم عائشة أن تستأمر أبويها خشية أن يحملها صغر السن على اختيار الشق الآخر لاحتمال أن لا يكون عندها من الملكة ما يدفع ذلك العارض، فإذا استشارت أبويها أوضحتها ما في ذلك من المفسدة وما في مقابله من المصلحة. ولهذا لما فطنت عائشة لذلك قالت: قد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه ووقع في رواية عمرة عن عائشة في هذه القصة: وخشي رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثي. وهذا شاهد للتأويل المذكور. وفيه منقبة عظيمة لعائشة وبيان كمال عقلها وصحة رأيها مع صغر سنها، وأن الغيرة تحمل المرأة الكاملة الرأي والعقل على ارتكاب ما لا يليق بحالها لسؤالها النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يخبر أحدا من أزواجه بفعلها، ولكنه صلى الله عليه وسلم لما علم أن الحامل لها على ذلك ما طبع عليه النساء من الغيرة ومحبة الاستبداد دون ضررها لم يسعفها بما طلبت من ذلك. ("فتح الباري" ٨ / ص ٥٢٢).



جاء في الصحيحين<sup>(٢٢)</sup> أن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً: «يا عائش، هذا جبريل يقرئك السلام» فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى. تريد رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٢٣)</sup>.

لأنها لم تر جبريل وإن كان رسول الله يراه. فهي لا تراه.

نعم. بل أعظم من ذلك: أنه لم ينزل على رسول الله وحي من السماء وهو في لحاف امرأة قط غير هذه المرأة الصالحة الصديقة. نعم.

روى البخاري في صحيح<sup>(٢٤)</sup> من حديث عائشة رضي الله عنها: أن نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كن حزينين، فحزب فيه عائشة وحفصة وصفية

---

<sup>(٢٢)</sup> أخرجه البخاري (٣٧٦٨) ومسلم (٢٤٤٧).

<sup>(٢٣)</sup> قال الحافظ العراقي رحمه الله: فيه منقبة ظاهرة لعائشة - رضي الله عنها - بسلام جبريل - عليه السلام - عليها لكن منقبة خديجة - رضي الله عنها - في ذلك أعظم وهي سلام الله تعالى عليها والمشهور تفضيل خديجة على عائشة، وهو الصحيح. -إلى قوله:- وفيه بعث الأجنبي السلام إلى الأجنبية الصالحة إذا لم يخف ترتب مفسدة وبوب عليه البخاري في صحيحه (سلام الرجال على النساء). ("طرح التثريب في شرح التقريب" / ٨ / ص ١٠٧-١٠٨).

<sup>(٢٤)</sup> أخرجه البخاري (٢٥٨١) ومسلم (٢٤٤٢).

وسودة، والحزب الآخر أم سلمة وسائر نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان المسلمون قد علموا حب رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة، فإذا كانت عند أحدهم هدية يريد أن يهديها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، آخرها حتى إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة، بعث صاحب الهدية بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة، فكلم حزب أم سلمة فقلن لها: كلمي رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلم الناس، فيقول: من أراد أن يهدي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية، فليهدده إليه حيث كان من بيوت نسائه، فكلمته أم سلمة بما قلن، فلم يقل لها شيئاً، فسألنها، فقالت: ما قال لي شيئاً، فقلن لها، فكلميه قالت: فكلمته حين دار إليها أيضاً، فلم يقل لها شيئاً، فسألنها، فقالت: ما قال لي شيئاً، فقلن لها: كلميه حتى يكلمك، فدار إليها فكلمته، فقال

لها: «لا تؤذيني في عائشة»<sup>(٢٥)</sup> فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة، إلا عائشة»<sup>(٢٦)</sup>، قالت: فقالت: أتوب إلى الله من أذاك يا رسول الله. الحديث.

نعم، هذه الصالحة، أراد رسول الله أن يمرض في بيتها قبل موته بأيام قلائل فشعر نساء رسول الله بهذا فآثرن بنوبهن رسول الله فمرض في بيتها ومات في دارها ودفن في حجرها وكانت تقول: مات بين سحري ونحري<sup>(٢٧)</sup>.

نعم هذه المرأة الصالحة التي يحبها كل مؤمن، نعم لأنها أهمهم.

---

<sup>(٢٥)</sup> قال الحافظ العراقي رحمه الله: «لا تؤذيني في عائشة فإن الوحي لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة» إشارة إلى أن تقلب قلوب الناس للإهداء في نوبة عائشة أمر سماوي لا حيلة لي فيه ولا صنع بدليل اختصاصها بنزول الوحي علي وأنا في ثوبها دون غيرها من أمهات المؤمنين فلا يمكنني قطع ذلك ولا أمر الناس بخلافه. ("طرح التثريب في شرح التقریب" / ٧ / ص ٥٢).

<sup>(٢٦)</sup> قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وفي هذا الحديث منقبة عظيمة لعائشة. ("فتح الباري" / ٧ / ص ١٠٨).

<sup>(٢٧)</sup> عن عائشة رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسأل في مرضه الذي مات فيه، يقول: «أين أنا غدا، أين أنا غدا» يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها، قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور علي فيه، في بيتي، فقبضه الله وإن رأسه لبين نحري وسحري. (أخرجه البخاري (٤٤٥٠) ومسلم (٢٤٤٣)).

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾<sup>(٢٨)</sup> وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴿[الأحزاب: (٢٩)]

[٦].

تروي لنا حديثاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها قالت: تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال، وبنى بي في شوال، فأني نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحظى عنده مني؟<sup>(٣٠)</sup>.

<sup>(٢٨)</sup> قال الإمام ابن كثير رحمه الله: قد علم الله تعالى شفقة رسوله صلى الله عليه وسلم على أمته، ونصحه لهم، فجعله أولى بهم من أنفسهم، وحكمه فيهم مقدماً على اختيارهم لأنفسهم، كما قال تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ [النساء: ٦٥]. وفي الصحيح: "والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده والناس أجمعين". وفي الصحيح أيضاً أن عمر، رضي الله عنه، قال: يا رسول الله، والله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي. فقال: "لا يا عمر، حتى أكون أحب إليك من نفسك". فقال: يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء حتى من نفسي. فقال: "الآن يا عمر". ولهذا قال تعالى في هذه الآية: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾. ("تفسير القرآن العظيم" / ٦ / ص ٣٨٠).

<sup>(٢٩)</sup> قال الإمام ابن كثير رحمه الله: وقوله: ﴿وأزواجه أمهاتهم﴾ أي: في الحرمة والاحترام، والإكرام والتوقير والإعظام، ولكن لا تجوز الخلوة بهن، ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع. ("تفسير القرآن العظيم" / ٦ / ص ٣٨٠-٣٨١).

<sup>(٣٠)</sup> أخرجه مسلم برقم (١٤٢٣).

قولها: (تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم) فيها مشروعية الزواج، في دين محمد صلى الله عليه وسلم بصحيح العبارة، إذ هذا النبي المكرم بوحى السماء لم يمتنع من الزواج، من الوطاء الحلال حتى يشرع لأمته: أن ديننا دين السماحة<sup>(٣١)</sup> وليست الرهبانية المبتدعة<sup>(٣٢)</sup>. نعم، تزوجها. فالزواج من سنن الله الكونية ومن سننه الشرعية.

---

<sup>(٣١)</sup> قال الله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦]. وقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ [الحج: ٧٨]. وقال جل ذكره: ﴿أَخْرَجَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما بعثت بالحنيفية السمحة». (أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٧٧١٥)، حسن لغيره).

<sup>(٣٢)</sup> كبدعة النصارى. قال الله تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

قال الإمام ابن كثير رحمه الله: وقوله: ﴿ورهبانية ابتدعوها﴾ أي: ابتدعتها أمة النصارى ﴿ما كتبناها عليهم﴾ أي: ما شرعناها لهم، وإنما هم التزموها من تلقاء أنفسهم. وقوله: ﴿إلا ابتغاء رضوان الله﴾ فيه قولان، أحدهما: أنهم قصدوا بذلك رضوان الله، قال سعيد بن جبير، وقتادة. والآخر: ما كتبنا عليهم ذلك إنما كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله. وقوله: ﴿فما رعوها حق رعايتها﴾ أي: فما قاموا بما التزموه حق القيام. وهذا ذم لهم من وجهين، أحدهما: في الابتداع في دين الله ما لم يأمر به الله. والثاني: في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قرينة يقرهم إلى الله، عز وجل. ("تفسير القرآن العظيم" / ٨ / ص ٢٩).

لأنك قد تجد من سنن الله ما هو كونية محض<sup>(٣٣)</sup>، لأن هذا الأمر لا يحبه الله ولا يرضاه، بل يبغضه كإخلاف والفرقة والتفرق، فهي من سنن الله التي يبغضها الله، لكنها من سنن الله الكونية التي شاءها الله كوناً لحكم سامية يريدتها الله من عباده.

---

<sup>(٣٣)</sup> إرادة الله نوعان: كونية وشرعية. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في ذكر مخالفة جهنم بن صفوان لكبار أئمة الأمة: وأما أئمة أصحاب مالك والشافعي وأحمد وعامة أصحاب أبي حنيفة، فإنهم لا يقولون بقول هؤلاء، بل يقولون بما اتفق عليه السلف من أنه سبحانه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، ويشتون الفرق بين مشيئته، وبين محبته ورضاه فيقولون: إن الكفر والفسوق والعصيان وإن وقع بمشيئته فهو لا يحبه ولا يرضاه، بل يسخطه ويبغضه، ويقولون: إرادة الله في كتابه نوعان:

نوع بمعنى المشيئة لما خلق، كقوله: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ﴾.

ونوع بمعنى محبته ورضاه لما أمر به، وإن لم يخلقه، كقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾، ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُسَمِّيَكُمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا . يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾. وبهذا يفصل النزاع في مسألة الأمر.

(انتهى من "مجموع الفتاوى" / ٨ / ص ٤٧٦ / دار الوفاء / إحالة).

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ \* إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾<sup>(٣٤)</sup> وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩].

فالمرحومون غير مختلفين<sup>(٣٥)</sup>، ولكن الخلاف والتفرق من سنن الله الكونية التي أوجدها وشاءها وخلقها لحكم يعلمها الله لينشئ عن ذلك الجهاد في

---

<sup>(٣٤)</sup> قال منصور بن عبد الرحمن: قلت للحسن: قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٩] قال: الناس مختلفون على أديان شتى، إلا من رحم ربك، ومن رحم ربك غير مختلف قلت: ولذلك خلقهم؟ قال: نعم، خلق هؤلاء للجنة، وخلق هؤلاء للنار وخلق هؤلاء للرحمة، وخلق هؤلاء للعذاب. ("الشريعة" / للأجري / ٢ / ص ٨٨٠).

<sup>(٣٥)</sup> قال الإمام ابن كثير رحمه الله: وقوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ أي: ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وآرائهم. قال عكرمة: ﴿مختلفين﴾ في الهدى. وقال الحسن البصري: ﴿مختلفين﴾ في الرزق، يسخر بعضهم بعضا، والمشهور الصحيح الأول.

وقوله: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ أي: إلا المرحومين من أتباع الرسل، الذين تمسكوا بما أمروا به من الدين. أخبرتهم به رسل الله إليهم، ولم يزل ذلك دأبهم، حتى كان النبي صلى الله عليه وسلم الأمي خاتم الرسل والأنبياء، فاتبعوه وصدقوه، ونصروه ووازره، ففازوا بسعادة الدنيا والآخرة؛ لأنهم الفرقة الناجية، كما جاء في الحديث المروي في المسانيد والسنن، من طرق يشد بعضها بعضا: "إن اليهود اختلفت على إحدى وسبعين فرقة، وإن النصارى اختلفوا على ثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا فرقة واحدة". قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: "ما أنا عليه وأصحابي". رواه الحاكم في مستدركه بهذه الزيادة.

سبيل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهجرة الأوطان من أجل الله. نعم. وكلمة الحق تعلو بعد الولاء والبراء وتميّز الرايات<sup>(٣٦)</sup>.

(انتهى من "تفسير القرآن العظيم" / ٤ / ص ٣٦١-٣٦٢).

<sup>(٣٦)</sup> الله تعالى في خلق الاختلاف حكم باهرة، حتى في خلق إبليس.

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: قولهم: أي حكمة في خلق إبليس وجنوده ففي ذلك من الحكم ما لا يحيط بتفصيله إلا الله، فمنها: أن يكمل لأنبيائه وأوليائه مراتب العبودية بمجاهدة عدو الله وحزبه ومخالفته، ومراغمته في الله وإغاظته، وإغاطة أوليائه والاستعاذة به منه، والإلجاء إليه أن يعيدهم من شره وكيد، فيترتب لهم على ذلك من المصالح الدنيوية والأخروية ما لم يحصل بدونه. وقدمنا أن الموقوف على الشيء لا يحصل بدونه. ومنها: خوف الملائكة والمؤمنين من ذنبهم بعد ما شاهدوا من حال إبليس ما شاهدوه وسقوطه من المرتبة الملكية إلى المنزلة الإبلسية يكون أقوى وأتم ولا ريب أن الملائكة لما شاهدوا ذلك حصلت لهم عبودية أخرى للرب تعالى وخضوع آخر وخوف آخر، كما هو المشاهد من حال عبيد الملك إذا رأوه قد أهان أحدهم الإهانة التي بلغت منه كل مبلغ وهم يشاهدونه؛ فلا ريب أن خوفهم وحذرهم يكون أشد. ومنها: أنه سبحانه جعله عبرة لمن خالف أمره وتكبر عن طاعته وأصرّ على معصيته كما جعل ذنب أبي البشر عبرة لمن ارتكب نهي أو عصي أمره ثم تاب وندم ورجع إلى ربه، فابتلى أبوي الجن والإنس بالذنب وجعل هذا الأب عبرة لمن أصرّ وأقام على ذنبه. وهذا الأب عبرة لمن تاب ورجع إلى ربه. فله كم في ضمن ذلك من الحكم الباهرة والآيات الظاهرة؟

ومنها: أنه محك امتحن الله به خلقه ليتبين به خبيثهم من طيبهم، فإنه سبحانه خلق النوع الإنساني من الأرض، وفيها السهل والحزن والطيب والخبيث. فلا بد أن يظهر فيهم ما كان في مادتهم، كما في الحديث الذي رواه الترمذي مرفوعاً: «أن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على مثل ذلك منهم الطيب والخبيث والسهل والحزن وغير ذلك». فما كان في المادة الأصلية فهو كائن في المخلوق منها، فافتضت الحكمة الإلهية إخراجه وظهوره، فلا بد إذا من سبب يظهر ذلك. وكان إبليس محكاً يميز به الطيب



من الخبيث كما جعل أنبيائه ورسله محكاً لذلك التمييز. قال تعالى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ فأرسله إلى المكلفين، وفيهم الطيب والخبيث، فانضاف الطيب إلى الطيب والخبيث إلى الخبيث، واقتضت حكمته البالغة أن خلطهم في دار الامتحان، فإذا صاروا إلى دار القرار يميز بينهم، وجعل لهؤلاء داراً على حدة، وهؤلاء داراً على حدة حكمة بالغة وقدرة قاهرة.

ومنها: أن يظهر كمال قدرته في خلق مثل جبريل والملائكة وإبليس والشياطين، وذلك من أعظم آيات قدرته ومشيتته وسلطانه، فإنه خالق الأضداد كالسما والأرض، والضياء والظلام، والجنة والنار، والماء والنار، والحرّ والبرد، والطيب والخبيث. ومنها: أن خلق أحد الضدّين من كمال حسن ضده، فإن الضدّ إنما يظهر حسنه بضده، فلولا القبيح لم تعرف فضيلة الجميل، ولولا الفقر لم يعرف قدر الغنا، كما تقدم بيانه ريباً. ومنها: أنه سبحانه يحب أن يشكر بحقيقة الشكر وأنواعه، ولا ريب أن أولياءه نالوا بوجود عدو الله إبليس وجنوده وامتحانهم به من أنواع شكره ما لم يكن ليحصل لهم بدونه. فكم بين شكر آدم وهو في الجنة قبل أن يخرج منها وبين شكره بعد أن ابتلي بعدوه ثم اجتباه ربه وتاب عليه وقبلة؟

ومنها: أن المحبة والإنابة والتوكل والصبر والرضا ونحوها أحب العبودية إلى الله سبحانه. وهذه العبودية إنما تتحقق بالجهاد وبذل النفس لله وتقديم محبته على كل ما سواه. فالجهاد ذروة سنام العبودية وأحبها إلى الرب سبحانه، فكان في خلق إبليس وحزبه قيام سوق هذه العبودية وتوابعها التي لا يحصى حكمها وفوائدها وما فيها من المصالح إلا الله. ومنها: أن في خلق من يصادّر رسله ويكذبهم ويعاديهم من تمام ظهور آياته وعجائب قدرته ولطائف صنعه؛ ما وجوده أحب إليه وأنفع لأوليائه من عدمه، كما تقدم من ظهور آية الطوفان والعصا واليد وخلق البحر وإلقاء الخليل في النار وأضعاف أضعاف ذلك من آياته وبراهين قدرته وعلمه وحكمته. فلم يكن بد من وجود الأسباب التي يترتب عليها ذلك كما تقدم.

ومنها: أن المادة النارية فيها الإحراق والعلو والفساد وفيها الإشراق والإضاءة والنور فأخرج منها سبحانه هذا وهذا كما أن المادة الترابية الأرضية فيها الطيب والخبيث والسهل والحزن والأحمر والأسود والأبيض، فأخرج منها ذلك كله حكمة باهرة وقدرة قاهرة وآية دالة على أنه ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾. ومنها: أن من أسمائه الخافض الرافع المعز المذل الحكم العدل المنتقم، وهذه الأسماء تستدعي

متعلقات يظهر فيها أحكامها كأسماء الإحسان والرزق الرحمة ونحوها، ولا بد من ظهور متعلقات هذه وهذه. ومنها: أنه سبحانه الملك التام الملك. ومن تمام ملكه عموم تصرفه وتنوعه بالثواب والعقاب والإكرام والإهانة والعدل والفضل والإعزاز والإذلال، فلا بد من وجود من يتعلق به أحد النوعين؛ كما أوجد من يتعلق به النوع الآخر. ومنها: أن من أسمائه الحكيم والحكمة من صفاته سبحانه وحكمته تستلزم وضع كل شيء موضعه الذي لا يليق به سواه؛ فاقترضت خلق المتضادات وتخصي كل واحد منها لا يليق به غيره من الأحكام والصفات والخصائص. وهل تتم الحكمة إلا بذلك؟ فوجود هذا النوع من تمام الحكمة كما أنه من كمال القدرة. ومنها: أن حمده سبحانه تام كامل من جميع الوجوه. فهو محمود على عدله ومنعه وخفضه وانتقامه وإهانتة كما هو محمود على فضله وعطائه ورفعته وإكرامه. فله الحمد التام الكامل على هذا وهذا، وهو يحمد نفسه على ذلك كله، ويحمد عليه ملائكته ورسله وأوليائه، ويحمد عليه أهل الموقف جميعهم. وما كان من لوازم كمال حمده وتماه فله في خلقه وإيجاده الحكمة التامة، كما له عليه الحمد التام. فلا يجوز تعطيل حمده كما لا يجوز تعطيل حكمته.

ومنها: أنه سبحانه يحب أن يظهر لعباده حلمه وصبره وأناة وسعة رحمته وجوده فاقضى ذلك خلق من يشرك به ويضاده في حكمه ويحتمد في مخالفته ويسعى في مسأخطة، بل يشبهه سبحانه، وهو مع ذلك يسوق إليه أنواع الطيبات ويرزقه ويعاقبه، ويمكّن له من أسباب ما يلتذ به من أصناف النعم، ويحجب دعاءه ويكشف عنه السوء ويعامله من بره وإحسانه بضد ما يعامله هو به من كفره وشركه وإساءته. فله كم في ذلك من حكمة وحمد ويتحجب إلى أوليائه ويتعرف بأنواع كمالاته كما في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله يجعلون له الولد وهو يرزقهم ويعاقبهم». وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه: «شتمني ابن آدم وما ينبغي له ذلك وكذبني ابن آدم وما ينبغي له ذلك أما شتمه إياي فقلوه اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد الذي له ألد ولم أولد ولم يكن لي كفواً أحد وأما تكذيبه إياي فقلوه لن يعيدني كما بدّاني وليس أول الخلق بأهون عليه من إعادته». وهو سبحانه مع هذا الشتم له والتكذيب يرزق الشاتم المكذب ويعافيه، ويدفع عنه ويدعوه إلى جنته، ويقبل توبته إذا تاب إليه ويبدله بسيئاته حسنات، ويلطف به في جميع أحواله ويؤهله لإرسال رسله ويأمرهم بأن يلبسوا له القول ويرفقوا به. قال الفضيل بن عياض: ما من ليلة يختلط ظلامها إلا نادى الجليل جل جلاله من أعظم مني جوداً؟ الخلاق

لي عاصون، وأنا أكلاًهم في مضاجعهم كأنهم لم يعصوني، وأتولى حفظهم كأنهم لم يذنبوا. أجود بالفضل على العاصي وأفضل على المسيء. من ذا الذي دعاني فلم ألبه؟ ومن ذا الذي سألتني فلم أعطه؟ أنا الجواد ومنى الجود، أنا الكريم ومنى الكرم. ومن كرمي أني أعطي العبد ما سألتني وأعطيه ما لم يسألني. ومن كرمي أني أعطي التائب كأنه لم يعصني. فأين عني يهرب الخلق؟ وأين عن بابي يتنحى العاصون؟. وفي أثر إلهي: "أنى والإنس والجن في نبأ عظيم أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر سواي". وفي أثر حسن: "ابن آدم ما أنصفتني خيري إليك نازل وشرك إلى صاعد كم أتحب إليك بالنعم وأنا غني عنك. وكم تنبض إلي بالمعاصي وأنت فقير إلي ولا يزال الملك الكريم يعرج إلي منك بعمل قبيح". وفي الحديث الصحيح: «لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم».

فهو سبحانه لكمال محبته لأسماؤه وصفاته اقتضى حمده وحكمته أن يخلق خلقاً يظهر فيهم أحكامها وآثارها. فالمحبة للعفو خلق من يحسن العفو عنه ومحبته للمغفرة خلق من يغفر له ويحلم عنه ويصبر عليه ولا يعاجله، بل يكون يحب أمانه وإيماله. ومحبته لعدله وحكمته خلق من يظهر فيهم عدله وحكمته ومحبته للجود والإحسان والبر خلق من يعامله بالإساءة والعصيان. وهو سبحانه يعامله بالمغفرة والإحسان، فلولا خلق من يجري على أيديهم أنواع المعاصي والمخالفات لفاتت هذه الحكم والمصالح وأضعافها وأضعاف أضعافها. فتبارك الله رب العالمين وأحكم الحاكمين ذو الحكمة البالغة والنعم السابغة الذي وصلت حكمته إلى حيث وصلت قدرته. وله في كل شيء حكمة باهرة كما أن له فيه قدرة قاهرة وهدايات. إنها ذكرنا منه قطرة من بحر، وإلا فعقول البشر أعجز وأضعف وأقصر من أن تحيط بكمال حكمته في شيء من خلقه. فكم حصل بسبب هذا المخلوق البغيض للرب المسخوط له من محبوب له تبارك وتعالى يتصل في حبه ما حصل به من مكروهه والحكيم الباهر الحكمة هو الذي يحصل أحبّ الأمرين إليه باحتمال المكروه الذي يبغضه ويسخطه إذا كان طريقاً إلى حصول ذلك المحبوب. ووجود الملزوم بدون لازمه محال. فإن يكن قد حصل بعدو الله إبليس من السرور والمعاصي ما حصل فكم حصل بسبب وجوده ووجود جنوده من طاعة هي أحبّ إلى الله وأرضى له من جهاد في سبيله ومخالفة هوى النفس وشهوتها له ويحتمل المشاق والمكاره في محبته ومرضاته وأحب شيء للحبيب: أن يرى محبه يتحمل لأجله من الأذى والوصب ما يصدق محبته:

من أجلك قد جعلت خدي أرضاً ... للشامت والحسود حتى ترضا

وفي أثر إلهي: "بغيتي ما يتحمل المتحملون من أجلي" فله ما أحب إليه احتمال محبيه إذا أعدائه لهم فيه وفي مرضاته، وما أنفع ذلك الأذى لهم، وما أهدم لعاقبته، وماذا ينالون به من كرامة حبيهم وقربه قرّة عيونهم به، ولكن حرام على منكري محبة الرب تعالى أن يشموا لذلك رائحة أو يدخلوا من هذا الباب أو يذوقوا من هذا الشراب:

فقل للعيون العمى للشمس أعين ... سواك يراها في مغيب ومطلع

وسامح يؤسا لم يؤهل لحبهم ... فما يحسن التخصيص في كل موضع

فإن أغضب هذا المخلوق ربه فقد أرضاه فيه أنبيائه ورسله وأوليائه، وذلك الرضاء أعظم من ذلك الغضب، وإن أسخطه ما يجري على يديه من المعاصي والمخالفات فإنه سبحانه أشدّ فرحاً بتوبة عبده من الفاقد لراحته التي عليها طعامه وشرابه إذا وجدها في المفاوز المهلكات. وإن أغضبه ما جرى على أنبيائه ورسله من هذا العدو فقد سره وأرضاه ما جرى على أيديهم من حربه ومعصيته ومراغمته وغيظه. وهذا الرضاء أعظم عنده وأبر لديه من فوات ذلك المكروه المستلزم لفوات هذا المرضي المحبوب. وإن أسخطه أكل آدم من الشجرة فقد أرضاه توبته وإنابته وخضوعه وتذللّه بين يديه وانكساره له وإن أغضبه إخراج أعدائه لرسوله من حرمة وبلدته ذلك لخروج فقط أرضاه أعظم الرضاء دخوله إليها ذلك الدخول. وإن أسخطه قتلهم أوليائه وأحبائه وتمزيق لحومهم وإراقة دمائهم؛ فقد أرضاه نيلهم الحياة التي لا أطيب منها ولا أنعم ولا ألد في قربه وجواره. وإن أسخطه معاصي عباده فقد أرضاه شهود ملائكته وأنبيائه ورسله وأوليائه سعة مغفرته وعفوه وبره وكرمه وجوده والثناء عليه بذلك وحمده وتمجديه بهذه الأوصاف التي حمده بها وأثنى عليه بها أحب إليه وأرضى له من فوات تلك المعاصي وفوات هذه المحبوبات.

واعلم أن الحمد هو الأصل الجامع لذلك كله فهو عقد نظام الخلق والأمر، والرب تعالى له الحمد كله بجميع وجوهه واعتباراته وتصاريفه. فما خلق شيئاً ولا حكم بشيء إلا وله فيه الحمد، فوصل حمده إلى حيث وصل خلقه وأمره حمداً حقيقياً يتضمن محبته والرضا به وعنه والثناء عليه والإقرار بحكمته البالغة في

كل هذا ينشأ على أعقاب الفرقة؛ وإن كانت الفرقة في أصلها مذمومة، لا يحبها الله، ولكنها من سننه الكونية.

وأما الزواج فهو من سنن الله الشرعية التي وافقتها سنن الله الكونية. ولذلك يقول الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾<sup>(٣٧)</sup> [الحجرات: ١٣].

---

كل ما خلقه وأمر به فتعطيل حكمته غير تعطيل حمده كما تقدم بيانه. فكما أنه لا يكون إلا حميداً فلا يكون إلا حكيماً. فحمده وحكمته كعلمه وقدرته وحياته من لوازم ذاته ولا يجوز تعطيل شيء من صفاته وأسمائه عن مقتضياتها وآثارها فإن ذلك يستلزم النقص الذي يناقض كماله وكبريائه وعظمته يوضحه.

(انتهى من "شفاء العليل" / ص ٢٣٦ - ٢٤٠).

<sup>(٣٧)</sup> قال الإمام ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى مخبراً للناس أنه خلقهم من نفس واحدة، وجعل منها زوجها، وهما آدم وحواء، وجعلهم شعوباً، وهي أعم من القبائل، وبعد القبائل مراتب آخر كالقبائل والعشائر والعوائل والأفخاذ وغير ذلك. وقيل: المراد بالشعوب بطون العجم، وبالقبائل بطون العرب، كما أن الأسباط بطون بني إسرائيل. ("تفسير القرآن العظيم" / ٧ / ص ٣٨٥).

<sup>(٣٨)</sup> قال الإمام ابن كثير رحمه الله: جميع الناس في الشرف بالنسبة الطينية إلى آدم وحواء سواء، وإنما يتفاضلون بالأمر الدينية، وهي طاعة الله ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ ولهذا قال تعالى بعد النهي عن الغيبة واحتقار بعض الناس بعضاً، منها على تساويهم في البشرية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ أي: ليحصل التعارف بينهم، كل يرجع إلى قبيلته. ("تفسير القرآن العظيم" / ٧ / ص ٣٨٥).

وكيف يجوز إيجاد الناس إلا عن طريق النكاح. فلذلك قال الله تعالى:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً<sup>(٣٩)</sup> إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا<sup>(٤٠)</sup>﴾، [سورة النساء: ١].

<sup>(٣٩)</sup> قال الإمام ابن كثير رحمه الله: وقوله: ﴿وبث منها رجالا كثيرا ونساء﴾ أي: وذرا منها، أي: من آدم وحواء رجالا كثيرا ونساء، ونشرهم في أقطار العالم على اختلاف أصنافهم وصفاتهم وألوانهم ولغاتهم، ثم إليه بعد ذلك المعاد والمحشر. ثم قال تعالى: ﴿واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام﴾ أي: واتقوا الله بطاعتكم إياه. قال إبراهيم ومجاهد والحسن: ﴿الذي تساءلون به﴾ أي: كما يقال: أسألك بالله وبالرحم. وقال الضحاك: واتقوا الله الذي به تعاقدون وتعاهدون، واتقوا الأرحام أن تقطعوها، ولكن بروها وصلوها، قاله ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والحسن، والضحاك، والربيع وغير واحد. ("تفسير القرآن العظيم" / ٢ / ص ٢٠٦).

<sup>(٤٠)</sup> قال الإمام ابن كثير رحمه الله: وقوله: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا﴾ أي: خلق لكم من جنسكم إناثا يكن لكم أزواجا، ﴿لتسكنوا إليها﴾، كما قال تعالى: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها﴾ [الأعراف: ١٨٩] يعني بذلك: حواء، خلقها الله من آدم من ضلعه الأقصر الأيسر. ولو أنه جعل بني آدم كلهم ذكورا وجعل إناثهم من جنس آخر من غيرهم إما من جان أو حيوان، لما حصل هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج، بل كانت تحصل نفرة لو كانت الأزواج من غير الجنس. ثم من تمام رحمته ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم، وجعل بينهم وبينهن مودة: وهي المحبة، ورحمة:

إذا يكون هذا عن طريق الزواج، الوطأ الحلال المعروف عند المسلمين  
بالنكاح الشرعي وليس بالسفاح ولا بالزنا. نعم أيها المسلمون.

﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾<sup>(٤١)</sup>  
فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا  
لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿[الأعراف: ١٨٩] الآيات.

شاهدنا: أن الله عز وجل أوجد الناس من ذكر وأنثى ليحفظ هذا النسل  
من الانقراض والذهاب والضياع والاضمحلال فجعل الله له سبباً وهو النكاح

---

وهي الرأفة، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبتة لها، أو لرحمة بها، بأن يكون لها منه ولد، أو محتاجة إليه في  
الإنفاق، أو للألفة بينهما، وغير ذلك، ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾. ("تفسير القرآن  
العظيم" / ٦ / ص ٣٠٩).

<sup>(٤١)</sup> قال الإمام ابن كثير رحمه الله: وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿وجعل منها زوجها لیسکن إليها﴾ أي:  
ليألفها ويسكن بها، كما قال تعالى: ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم  
مودة ورحمة﴾ [الروم: ٢١] فلا ألفة بين زوجين أعظم مما بين الزوجين؛ ولهذا ذكر تعالى أن الساهر ربا  
توصل بكيده إلى التفرقة بين المرء وزوجه.

﴿فلما تغشاه﴾ أي: وطئها ﴿حملت حملا خفيفا﴾ وذلك أول الحمل، لا تجد المرأة له ألما، إنما هي النطفة، ثم  
العلقة، ثم المضغة. وقوله: ﴿فمرت به﴾ قال مجاهد: استمرت بحمله. وروي عن الحسن، وإبراهيم النخعي،  
والسدي، نحوه. وقال ميمون بن مهران عن أبيه: استخفته. إلى آخره. ("تفسير القرآن  
العظيم" / ٣ / ص ٥٢٥).

الذي هو سبب في إيجاد الولد وبقاء النسل بين الناس في البسيطة حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾<sup>(٤٢)</sup> [الفرقان: ٥٤].

النسب اللحمية التي تكون من الآباء والأجداد والأبناء والأحفاد والأعمام وأبناء العم. كل هذا فيه نسب لأنه لحمية واحدة. والصهر معروف وهو ما يكون من التوالد عن طريق الزواج والنكاح.

﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٤].

نعم أيها المسلمون . سنة من سنن الله التي أكرم الله بها الأنبياء لا يجحد عنها إلا مترهب<sup>(٤٣)</sup> . نعم.

---

<sup>(٤٢)</sup> قال الإمام ابن كثير رحمه الله: وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ أي: خلق الإنسان من نقطة ضعيفة، فسواه وعدله، وجعله كامل الخلقة، ذكرا أو أنثى، كما يشاء، ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾، فهو في ابتداء أمره ولد نسيب، ثم يتزوج فيصير صهرا، ثم يصير له أصهار وأختان وقربات. وكل ذلك من ماء مهين؛ ولهذا قال: ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾. ("تفسير القرآن العظيم" ٦/ ص ١١٧).



﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾<sup>(٤٤)</sup> [الرعد:

[٣٨

انظر هؤلاء الرسل مثقلون بأعباء الرسالة والنبوة بالقيام والصيام وتبليغ دين الله في أرضه وبلاده وعباده، ومع ذلك يشغلون بأمر الزواج، يقومون بأمر الزواج حتى يشرعوا للناس هذه المسألة ويتعد عن السفاح والزنا وما حرمه الله

---

<sup>(٤٣)</sup> قال الإمام ابن تيمية رحمه الله: ولما نهى الله عن التشبه بهؤلاء الذين قست قلوبهم، ذكر أيضا في آخر السورة حال الذين ابتدعوا الرهبانية، فما رعوها حق رعايتها فعقبها بقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرُسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ \* إِنَّا لَا نَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٨ - ٢٩]، فإن الإيثار بالرسول: تصديقه وطاعته واتباع شريعته، وفي ذلك مخالفة للرهبانية؛ لأنه لم يبعث بها، بل نهى عنها، وأخبر: أن من اتبعه كان له أجران، وبذلك جاءت الأحاديث الصحيحة، من طريق ابن عمر وغيره، في مثلنا ومثل أهل الكتاب. ("اقتضاء الصراط المستقيم" / ١ / ص ٢٩٥).

<sup>(٤٤)</sup> قال الإمام ابن كثير رحمه الله: يقول تعالى: وكما أرسلناك، يا محمد، رسولا بشريا كذلك قد بعثنا المرسلين قبلك بشرا يأكلون الطعام، ويمشون في الأسواق ويأتون الزوجات، ويولد لهم، وجعلنا لهم أزواجا وذرية، وقد قال الله تعالى لأشرف الرسل وخاتمهم: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠]. وفي الصحيحين: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أما أنا فأصوم وأفطر، وأقوم وأنام، وأكل الدسم وأنزول النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني». ("تفسير القرآن العظيم" / ٤ / ص ٤٦٨).

الذي فيه دمار وبلاء شامل<sup>(٤٥)</sup> الذي يترك الديار بلاقع ويهلك الحرث والنسل.

نعم

ما فشت الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا سلب الله عليهم الأوجاع والأمراض التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا<sup>(٤٦)</sup>.

---

<sup>(٤٥)</sup> قال الإمام ابن القيم رحمه الله: فمن أعظم أسباب الموت العام: كثرة الزنا، بسبب تمكين النساء من اختلاطهن بالرجال، والمشي بينهم متبرجات متجملات، ولو علم أولياء الأمر ما في ذلك من فساد الدنيا والرعية - قبل الدين - لكانوا أشد شيء منعاً لذلك. ("الطرق الحكمية" / ص ٢٣٩).

<sup>(٤٦)</sup> عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنت عاشر عشرة في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم -، أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وحذيفة، وابن عوف، وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهم، فجاء فتى من الأنصار فسلم على رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ثم جلس فقال: يا رسول الله أي المؤمنين أفضل؟ قال: «أحسنهم خلقاً» قال: فأأي المؤمنين أكيس؟ قال: «أكثرهم للموت ذكراً، وأحسنهم له استعداداً قبل أن ينزل بهم، أولئك من الأكياس» ثم سكت الفتى، وأقبل عليه النبي - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - فقال: «يا معشر المهاجرين خمس إن ابتليتم بهن ونزل فيكم، أعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعملوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع التي لم يكن مضت في أسلافهم، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا الزكاة إلا منعوا القطر من السماء ولولا البهائم لم يمطروا، ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلب الله عليهم عدوهم من غيرهم وأخذوا بعض ما كان في أيديهم، وما لم يحكم أثمتهم بكتاب الله إلا ألقى الله بأسهم بينهم» الحديث. (أخرجه الحاكم في "المستدرک" / كتاب الفتن والملاحم / (٨٦٨٨) / دار الحرمين) وغيره، وقال الإمام الألباني

تأملوا في قصة العبد الصالح من أهل مدين يعرض ابنته على موسى عليه السلام نبي من أنبياء الله ورسول من رسل الله، ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِي حَجَّجٍ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القصص: ٢٧]

يبقى عاملا عنده ثمانى حجج، ثمانية أعوام. ﴿قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ [القصص: ٢٨].

فبقي يعمل عشر سنوات راضيا عليه الصلاة والسلام حرصا على إعفاف نفسه بالزواج الشرعي. ولذلك لما ذهب إلى مدين ولا يعرف بها أحدا من الناس ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾<sup>(٤٧)</sup> [القصص: ٢٤]

---

رحمه الله في "الصحيحة" (١٣٨٤) / مكتبة المعارف): فالحديث بمجموع هذه الطرق حسن. وحسنه أيضا الإمام الوادعي رحمه الله في "الجامع الصحيح في القدر" / خصال خمس / ص ٤٣١ / مكتبة صنعاء الأثرية).

<sup>(٤٧)</sup> قال شيخ الإسلام رحمه الله: فإن هذا وصف لحاله بأنه فقير إلى ما أنزل الله إليه من الخير وهو متضمن لسؤال الله إنزال الخير إليه. ("مجموع الفتاوى" / ١٠ / ص ٢٤٤).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: فالشكوى إليه سبحانه لا تنافي الصبر الجزيل بل اعراض عبده عن الشكوى إلى غيره جملة وجعل الشكوى إليه وحده هو الصبر والله تعالى يبتلى عبده لیسلم شكواه وتضرعه ودعائه وقد ذم سبحانه من لم يتضرع إليه ولم يستكن له وقت البلاء كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ

فأواه الله وأكرمه ورزقه وأمنه وطمّنه. وكان بدأ هذا بالزواج الذي فيه  
سكن وقرار.

أملوا في ذلكم العبد الصالح والنبى الصالح الذى هو زكريا قال: ﴿رَبِّ  
لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾<sup>(٤٨)</sup> [الأنبياء: ٨٩]

وهو قد تزوج لكي يأتي بالنسل الصالح ولكنه بقي عقيماً برهة من  
الزمان. إذن ماذا تريد يا زكريا؟ ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ  
سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾<sup>(٤٩)</sup> [آل عمران: ٣٨]

---

فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ﴿. والعبد أضعف من أن يتجلد على ربه والرب تعالى لم يرد من عبده أن  
يتجلد عليه، بل أراد منه أن يستكين له ويتضرع اليه وهو تعالى يمقت من يشكوه إلى خلقه ويحب من يشكو  
ما به إليه. وقيل لبعضهم: كيف تشتكى إليه ما ليس يخفى عليه؟ فقال: ربي يرضى ذلّ العبد إليه. ("عدة  
الصابرين" / ص ٣٦).

<sup>(٤٨)</sup> قال القرطبي رحمه الله: (رب لا تذرني فرداً) أي: منفرداً لا ولد لي وقد تقدم. (وأنت خير الوارثين) أي  
خير من يبقى بعد كل من يموت، وإنما قال "وأنت خير الوارثين" لما تقدم من قوله: "يرثني" [مريم: ٦]  
أي أعلم أنك لا تضع دينك ولكن لا تقطع هذه الفضيلة التي هي القيام بأمر الدين عن عقيبي. ("الجامع  
لأحكام القرآن" / ١١ / ص ٣٣٦).

<sup>(٤٩)</sup> قال القرطبي رحمه الله: دلت هذه الآية على طلب الولد، وهي سنة المرسلين والصديقين. ("الجامع  
لأحكام القرآن" / ٤ / ص ٧٢).

وهذا لا يكون إلا عن طريق الزواج.

فأنبياء الله ورسله يأخذون بهذه السنة العظيمة القويمة التي يحبها الله قدرا  
وكونا وشرعا ودينا. نعم.

وهذا نبينا صلى الله عليه وسلم هو خير من سن الزواج وشرع في الناس  
الزواج وندب الناس إليه وحذرهم من الرهبانية المبتدعة.

جاء في الصحيحين<sup>(٥٠)</sup> عن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول جاء ثلاثة  
رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله  
عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه  
وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل  
أبدا. وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر. وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا  
أتزوج أبدا. فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال: «أنتم الذين قلتم  
كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأنقاكم له. لكني أصوم وأفطر، وأصلي  
وأرقد، وأتزوج النساء. فمن رغب عن سنتي فليس مني»<sup>(٥١)</sup>.

<sup>(٥٠)</sup> أخرجه البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١).

<sup>(٥١)</sup> قال شيخ الإسلام رحمه الله: فأما الإعراض عن الأهل والأولاد فليس مما يحبه الله ورسوله، ولا هو من  
دين الأنبياء؛ بل قد قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد: ٣٨].

من رغب عن سنتي فليس مني. حديث عن رسول الله. إياك أن ترغب عنه، وإياك عن يتليك الله إذا كانت زاهدا فيها مبتعدا عنها بقصد الرهبانية أن تبلى بالانحراف والشذوذ<sup>(٥٢)</sup>. كن متبعا للسنة المحمدية<sup>(٥٣)</sup>.

لقد قال لنا النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٥٤)</sup>: «يا معشر الشباب<sup>(٥٥)</sup> من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»<sup>(٥٦)</sup>.

---

والإنفاق على العيال والكسب لهم يكون واجبا تارة ومستحبا أخرى، فكيف يكون ترك الواجب أو المستحب من الدين. ("مجموع الفتاوى" / ١٠ / ص ٦٤٢-٦٤٣).

<sup>(٥٢)</sup> قال شيخ الإسلام رحمه الله: ومن لم تسعه السنة حتى تعداها إلى البدعة مرق من الدين. ومن أطلق للناس ما لم يطلقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع وجود المقتضى للإطلاق فقد جاء بشريعة ثانية، ولم يكن تبعا للرسول، فلينظر أمره أين يضع قدمه. ("الفتاوى الكبرى" / ٣ / ص ١٦٧).

<sup>(٥٣)</sup> كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ولا تستصعب مخالفة الناس والتحيز إلى الله ورسوله ولو كنت وحدك، فإن الله معك وأنت بعينه وكلاءته وحفظه لك. وإنما امتحن يقينك وصبرك. وأعظم الأعوان لك بعد عون الله: التجرد من الطمع والفرع. فمتى تجردت منها هان عليك التحيز إلى الله ورسوله وكنت دائما في الجانب الذي فيه الله ورسوله. ("الفوائد" / لابن القيم / ص ١١٦).

<sup>(٥٤)</sup> أخرجه البخاري (٥٠٦٥) ومسلم (١٤٠٠) عن ابن مسعود رضي الله عنه.

<sup>(٥٥)</sup> قال النووي رحمه الله: قال أهل اللغة: المعشر هم الطائفة الذين يشملهم وصف فالشباب معشر والشيوخ معشر والأنبياء معشر والنساء معشر فكذا ما أشبهه. ("شرح النووي على مسلم" / ٩ / ص ١٧٣).

قال الله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ  
إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْغِنِهِمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾<sup>(٥٧)</sup> [النور: ٣٢].

<sup>(٥٦)</sup> قال النووي رحمه الله: واختلف العلماء في المراد بالباء هنا على قولين يرجعان إلى معنى واحد، أصحهما أن المراد معناها اللغوي وهو الجماع، فتقديره من استطاع منكم الجماع لتقديره على مؤنه وهي مؤن النكاح فليتزوج ومن لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنه فعليه بالصوم ليدفع شهوته ويقطع شر منه كما يقطعه الوجاء. وعلى هذا القول وقع الخطاب مع الشبان الذين هم مظنة شهوة النساء ولا ينفكون عنها غالباً والقول الثاني أن المراد هنا بالباء مؤن النكاح سميت باسم ما يلازمها وتقديره من استطاع منكم مؤن النكاح فليتزوج ومن لم يستطعها فليصم ليدفع شهوته.

والذي حمل القائلين بهذا على هذا أنهم قالوا: قوله صلى الله عليه وسلم ومن لم يستطع فعليه بالصوم قالوا: والعاجز عن الجماع لا يحتاج إلى الصوم لدفع الشهوة، فوجب تأويل الباء على المؤن. وأجاب الأولون بما قدمناه في القول الأول وهو أن تقديره من لم يستطع الجماع لعجزه عن مؤنه وهو محتاج إلى الجماع فعليه بالصوم والله أعلم.

وأما الوجاء فبكسر الواو وبالماء وهو رض الخصيتين والمراد هنا أن الصوم يقطع الشهوة ويقطع شر المنى كما يفعله الوجاء. وفي هذا الحديث الأمر بالنكاح لمن استطاعه وتاقت إليه نفسه وهذا مجمع عليه. لكنه عندنا وعند العلماء كافة أمر ندب لا إيجاب فلا يلزم التزوج ولا التسري سواء خاف العنت أم لا. هذا مذهب العلماء كافة ولا يعلم أحد أوجبه إلا داود ومن وافقه من أهل الظاهر ورواية عن أحمد فإنهم قالوا يلزمه إذا خاف العنت أن يتزوج أو يتسرى قالوا وإنما يلزمه في العمر مرة واحدة. ولم يشرط بعضهم خوف العنت. ("شرح النووي على مسلم" ٩/ ص ١٧٤).

<sup>(٥٧)</sup> قال الإمام ابن كثير رحمه الله: اشتملت هذه الآيات الكرييات المبينة على جمل من الأحكام المحكمة، والأوامر المبرمة، فقوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾: هذا أمر بالتزويج. وقد ذهب طائفة من العلماء إلى وجوبه، على كل من قدر عليه. واحتجوا بظاهر قوله صلى الله عليه

قد يكون البدء في الحياة الأسرية على أقل ما يكون من الزاد والمؤنة ولكن الله عز وجل يبارك بعد ذلك<sup>(٥٨)</sup>، فأنت كنت تحمل رزقاً واحداً، كنت محفوفاً فلها ضُمَّت إليك امرأتك أصبح الرزق رزقين ، فما جاء الأولاد بارك الله بالأرزاق ووسع فيها وجعل لك من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجاً ورزقك من حيث لا تحتسب. ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا \* إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾<sup>(٥٩)</sup> [الشرح: ٥، ٦].

---

وسلم: "يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء". أخرجاه من حديث ابن مسعود .

وجاء في السنن -من غير وجه -أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "تزوجوا، توالدوا، تناسلوا، فإني مباه بكم الأمم يوم القيامة"، وفي رواية: "حتى بالسقط".

الأيامى: جمع أيم، ويقال ذلك للمرأة التي لا زوج لها، وللرجل الذي لا زوجة له. وسواء كان قد تزوج ثم فارق، أو لم يتزوج واحد منهما، حكاه الجوهري عن أهل اللغة، يقال: رجل أيم وامرأة أيم أيضاً. ("تفسير القرآن العظيم" / ٦ / ص ٥١).

<sup>(٥٨)</sup> قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) رجع الكلام إلى الأحرار، أي لا تمتنعوا عن التزويج بسبب فقر الرجل والمرأة، "إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله". وهذا وعد بالغنى للمتزوجين طلب رضا الله واعتصاماً من معاصيه. ("الجامع لأحكام القرآن" / ١٢ / ص ٢٤١).

<sup>(٥٩)</sup> قال الإمام ابن القيم رحمه الله: لأن المعروف وإن تعدد ذكره واتحد لفظه فهو شيء واحد بخلاف المنكر ومن فهم هذا فهم معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لن يغلب عسر يسرين"، مرسل وله طرق تعضده. فإنه أشار إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا \* إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ فالعسر وإن تكرر مرتين فتكرر بلفظ



﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾<sup>(٦٠)</sup> [النور: ٣٢].

عن معقل بن يسار رضي الله عنه<sup>(٦١)</sup> قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال، وإنها لا تلد، أفأتزوجها،

---

المعرفة فهو واحد واليسر تكرر بلفظ النكرة فهو يسران فالعسر مخفوف بيسرين يسر قبله ويسر بعده فلن يغلب عسر يسرين. ("بدائع الفوائد" / ٢ / ص ١٥٥).

<sup>(٦٠)</sup> قال الشوكاني رحمه الله: أي: لا تمتنعوا من تزويج الأحرار بسبب فقر الرجل والمرأة أو أحدهما، فإنهم إن يكونوا فقراء يغنهم الله سبحانه، ويتفضل عليهم بذلك. قال الزجاج: حث الله على النكاح وأعلم أنه سبب لنفي الفقر، ولا يلزم أن يكون هذا حاصلًا لكل فقير إذا تزوج، فإن ذلك مقيد بالمشيئة. وقد يوجد في الخارج كثير من الفقراء لا يحصل لهم الغنى إذا تزوجوا. وقيل المعنى: إنه يغنيه بغنى النفس، وقيل المعنى: إن يكونوا فقراء إلى النكاح يغنهم الله من فضله بالحلل ليتعففوا عن الزنا.

والوجه الأول أولى، ويدل عليه قوله سبحانه: وإن خفتن عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء فيحمل المطلق هنا على المقيد هناك، وجملة والله واسع عليم مؤكدة لما قبلها ومقررة لها، والمراد أن سبحانه ذو سعة لا ينقص من سعة ملكه غنى من يغنيه من عباده عليم بمصالح خلقه، يغني من يشاء ويفقر من يشاء.

(انتهى من "فتح القدير" / ٤ / ص ٣٣).

<sup>(٦١)</sup> أخرجه أبو داود في سننه (٢٠٥٠) والنسائي (٣٢٢٧) وسعيد بن منصور (٤٩٠). هذا صحيح لغيره.

ويقويه حديث أنس بن مالك قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بالباء، وينهى عن التبتل نهياً شديداً، ويقول: «تزوجوا الودود الولود، إني مكاثر الأنبياء يوم القيامة». (أخرجه أحمد (١٢٦١٣) والبزار (٦٤٥٦) بسند صحيح).

قال: «لا». ثم أتاه الثانية فنهاه، ثم أتاه الثالثة، فقال: «تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم»<sup>(٦٢)</sup>.

عن سعيد بن جبير، قال: قال لي ابن عباس: هل تزوجت؟ قلت: لا، قال: فتزوج<sup>(٦٣)</sup> فإن خير هذه الأمة أكثرها نساء<sup>(٦٤)</sup>. (أخرجه البخاري (٥٠٦٩)).

---

<sup>(٦٢)</sup> قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وكان يحث على نكاح الولود، ويكره المرأة التي لا تلد. ("زاد المعاد" ٤/ ص ٢٣١).

وقال شمس الحق آبادي رحمه الله: وقيد بهذين لأن الولود إذا لم تكن ودودا لم يرغب الزوج فيها والودود إذا لم تكن ولودا لم يحصل المطلوب وهو تكثير الأمة بكثرة التوالد ويعرف هذان الوصفان في الأ Bakar من أقاربهم إذ الغالب سراية طباع الأقارب بعضهم إلى بعض. ("عون المعبود" ٦/ ص ٣٣-٣٤).

<sup>(٦٣)</sup> قال ابن دقيق العيد رحمه الله: قسم بعض الفقهاء النكاح إلى الأحكام الخمسة، وجعل الوجوب فيما إذا خاف العنت وقدر على النكاح وتعذر التسري. وكذا حكاه القرطبي عن بعض علمائهم، وهو المازري. قال: فالوجوب في حق من لا ينكف عن الزنا إلا به كما تقدم. قال: والتحريم في حق من يخل بالزوجة في الوطء والإنفاق مع عدم قدرته عليه وتوقانه إليه. والكراهة في حق مثل هذا حيث لا إضرار بالزوجة فإن انقطع بذلك عن شيء من أفعال الطاعة من عبادة أو اشتغال بالعلم اشتدت الكراهة. وقيل: الكراهة فيما إذا كان ذلك في حال العزوبة أجمع منه في حال التزويج. والاستحباب فيما إذا حصل به معنى مقصوداً من كسر شهوة وإعفاف نفس وتحصين فرج ونحو ذلك. والإباحة فيما انتفت الدواعي والموانع. ومنهم من استمر بدعوى الاستحباب فيمن هذه صفته للظواهر الواردة في الترغيب فيه. قال عياض: هو مندوب في حق كل من يرجى منه النسل ولو لم يكن له في الوطء شهوة لقوله صلى الله عليه وسلم: (فإني مكاثر بكم) ولظواهر الحض على النكاح والأمر به. وكذا في حق من له رغبة في نوع من الاستمتاع بالنساء غير الوطء. فأما من لا

من هو خير هذه الأمة؟ محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم. وهو أكثر هذه الأمة نساء.

وقد ذكر ابن حجر رحمه الله في "فتح الباري" عشرة من الحكم في تعداد رسول الله للزوجات وفي إكثاره من الزواج لم يكن هذا لغير حكمة بل كان لحكمة سامية عظيمة من النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٦٥)</sup>.

---

ينسل ولا أرب له في النساء ولا في الاستمتاع فهذا مباح في حقه إذا علمت المرأة بذلك ورضيت. (نقله ابن حجر في "فتح الباري" / ٩ / ص ١١٠-١١١).

<sup>(٦٤)</sup> قال المهلب رحمه الله: لم يرد ابن عباس أنه من كثر نساؤه من المسلمين أنه خيرهم، وإنما قاله على معنى الخس والنسب إلى النكاح، وترك الرهبانية في الإسلام، وأن النبي، عليه السلام، الذي يجب علينا الاقتداء به واتباع سنته كان أكثر أمته نساء؛ لأن الله تعالى أحل له منهن تسعا بالنكاح، ولم يحل لأحد من أمته غير أربع. ("شرح صحيح البخاري" / لابن بطال / ٧ / ص ١٦٤).

<sup>(٦٥)</sup> قال ابن حجر رحمه الله: وكأنه أشار إلى أن ترك التزويج مرجوح إذ لو كان راجحاً ما أثر النبي صلى الله عليه وسلم غيره وكان مع كونه أخشى الناس لله وأعلمهم به يكثر التزويج لمصلحة تبليغ الأحكام التي لا يطلع عليها الرجال، ولإظهار المعجزة البالغة في خرق العادة لكونه كان لا يجد ما يشبع به من القوت غالباً وإن وجد كان يؤثر بأكثره، ويصوم كثيراً ويواصل. ومع ذلك فكان يطوف على نسائه في الليلة الواحدة، ولا يطاق ذلك إلا مع قوة البدن. وقوة البدن كما تقدم في أول أحاديث الباب تابعة لما يقوم به من استعمال المقويات من مأكول ومشروب وهي عنده نادرة أو معدومة. ووقع في "الشفاء": أن العرب كانت تمدح بكثرة النكاح لدلالته على الرجولية إلى أن قال: ولم تشغله كثرتن عن عبادة ربه بل زاده ذلك عبادة لتحسينهن، وقيامه بحقوقهن، واكتسابه لهن وهدايته إياهن. وكأنه أراد بالتحسين قصر طرفهن عليه، فلا

نعم يا معشر المسلمين. كذلكم فإن الزواج سنة عند المؤمنين والصالحين من عباد الله فهم إذا ما تركوا الحرام اكتفوا واقتنعوا بما أحلّ الله.

---

يتطلعن إلى غيره بخلاف العزبة، فإن العفيفة تتطلع بالطبع البشري إلى التزويج، وذلك هو الوصف اللائق بهن.

والذي تحصل من كلام أهل العلم في الحكمة في استكثاره من النساء عشرة أوجه تقدمت الإشارة إلى بعضها. أحدها: أن يكثر من يشاهد أحواله الباطنة فينتفي عندما يظن به المشركون من أنه ساحر أو غير ذلك. ثانيها: لتتشف به قبائل العرب بمصاهرته فيهم. ثالثها: للزيادة في تألفهم لذلك. رابعها: للزيادة في التكليف حيث كلف أن لا يشغله ما حجب إليه منهن عن المبالغة في التبليغ. خامسها: لتكثر عشيرته من جهة نسائه فتزاد أعوانه على من يحاربه. سادسها: نقل الأحكام الشرعية التي لا يطلع عليها الرجال لأن أكثر ما يقع مع الزوجة مما شأنه أن يختفي مثله. سابعها: الاطلاع على محاسن أخلاقه الباطنة فقد تزوج أم حبيبة وأبوها إذ ذاك يعاديه وصفية بعد قتل أبيها وعمها وزوجها. فلو لم يكن أكمل الخلق في خلقه لنفرن منه بل الذي وقع أنه كان أحب إليهن من جميع أهلهن. ثامنها: ما تقدم مبسوطا من خرق العادة له في كثرة الجماع مع التقليل من المأكول والمشروب وكثرة الصيام والوصال. وقد أمر من لم يقدر على مؤن النكاح بالصوم، وأشار إلى أن كثرتة تكسر شهوته. فانخرقت هذه العادة في حقه صلى الله عليه وسلم. تاسعها وعاشرها: ما تقدم نقله عن صاحب "الشفاء" من تحصينهن والقيام بحقوقهن. والله أعلم.

ووقع عند أحمد بن منيع من الزيادة في آخره: أما إنه يستخرج من صلبك من كان مستودعا. وفي الحديث الحض على التزويج وترك الرهبانية.

(انتهى من "فتح الباري" / ٩ / ص ١١٤-١١٥).

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾<sup>(٦٦)</sup>

[الفرقان: ٧٤]

نعم هذا قول عباد الرحمن.

عن أبي جحيفة رضي الله عنه<sup>(٦٧)</sup> قال: آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان، وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاما، فقال: كل؟ قال: فإني صائم، قال: ما أنا بأكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم فقال: نم، فلما كان من آخر الليل قال: سلمان قم الآن، فصليا فقال له سلمان: إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه،

<sup>(٦٦)</sup> قال الإمام ابن كثير رحمه الله: وقوله: ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾ يعني: الذين يسألون الله أن يخرج من أصلاهم وذرياتهم من يطيعه ويعبده وحده لا شريك له. ("تفسير القرآن العظيم" ٦/ ص ١٣٢).

<sup>(٦٧)</sup> أخرجه البخاري (١٩٦٨).

فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر ذلك له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «صدق سلمان»<sup>(٦٨)</sup>.

لعل هذا قبل أن يفرض الحجاب.

أخى بينهما أخوة بين المهاجرين والأنصار لتقوى وشائج الأخوة بين المؤمنين وصلة الرحم. رضي الله عنهم.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما<sup>(٦٩)</sup>، قال: أنكحني أبي امرأة ذات حسب، فكان يتعاهد كتته، فيسألها عن بعْلِها، فتقول: نعم الرجل من رجل لم يطأ لنا فراشاً، ولم يفتش لنا كنفا منذ أتيناها، فلما طال ذلك عليه ذكر للنبي صلى الله

---

<sup>(٦٨)</sup> قال ابن حجر رحمه الله: وقوله صلى الله عليه وسلم: (صدق سلمان) أي: في جميع ما ذكر. وفيه منقبة ظاهرة لسلمان. ("فتح الباري" / ٣ / ص ٣٢).

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: قوله: (صدق سلمان) فيه دليل على مشروعية النصح للمسلم وتنبه من غفل، وفضل قيام آخر الليل، وثبوت حق المرأة على الزوج في حسن العشرة، وجواز عن المستحبات إذا خشي أن ذلك يفضي إلى السامة والملل وتفتيت الحقوق المطلوبة، وكراهة الجهل على النفس في العبادة، وجواز الفطر من صوم التطوع. ("نيل الأوطار" / ٤ / ص ٣٠٥).

<sup>(٦٩)</sup> أخرجه البخاري (٥٠٥٢).

عليه وسلم فقال: «القني به»، فلقيته بعد، فقال: «كيف تصوم؟» قال: كل يوم، قال: «وكيف تختم؟»، قال: كل ليلة، قال: «صم في كل شهر ثلاثة، واقرأ القرآن في كل شهر»، قال: قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: «صم ثلاثة أيام في الجمعة»، قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: «أفطر يومين وصم يوماً» قال: قلت: أطيق أكثر من ذلك، قال: «صم أفضل الصوم صوم داود صيام يوم وإفطار يوم، واقرأ في كل سبع ليال مرة» فليتني قبلت رخصة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذاك أني كبرت وضعفت.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما<sup>(٧٠)</sup> قال: قال لي النبي صلى الله عليه وسلم: «ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار؟» قلت: إني أفعل ذلك، قال: «فإنك إذا فعلت ذلك هجمت عينك، ونفثت نفسك، وإن لنفسك حقاً، ولأهلك حقاً<sup>(٧١)</sup>، فصم وأفطر، وقم ونم».

<sup>(٧٠)</sup> أخرجه البخاري (١١٥٣) ومسلم (١١٥٩).

<sup>(٧١)</sup> قال ابن بطال رحمه الله: يريد ما جعل الله، تعالى، للإنسان من الراحة المباحة واللذة في غير محرم، فإن في ذلك قوة على طاعة الله ونشاطاً إليها، وكذلك للأهل حق على الزوج أن يوفيهم حقوق الزوجية، وأن ينظر لهم فيها لا بد لهم من أمور الدنيا والآخرة. ("شرح صحيح البخاري" / ٣ / ص ١٤٦).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعني وإياكم بسنة سيد المرسلين.

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إقراراً به وتوحيداً وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً مزيداً، أما بعد:

معاشر المؤمنين، قال النبي صلى الله عليه وسلم<sup>(٧٢)</sup>: «إنما حبيب إلي من دنياكم النساء»<sup>(٧٣)</sup>،

---

وقال ابن حجر رحمه الله: قوله: (ولأهلك عليك حقاً) أي: تنظر لهم فيما لا بد لهم منه من أمور الدنيا والآخرة والمراد بالأهل الزوجة أو أعم من ذلك ممن تلزمه نفقته. ("فتح الباري" / ٣ / ص ٣٩).

<sup>(٧٢)</sup> أخرجه الإمام أحمد (١٢٢٩٣) وأبو داود (٣٩٣٩) والمروزي في "تعظيم قدر الصلاة" (٣٢٢) والبيهقي في "الكبرى" (١٣٤٥٤) عن أنس رضي الله عنه، وهو حديث حسن.

<sup>(٧٣)</sup> قال السندي رحمه الله: (حبيب إلي من الدنيا النساء) قيل: إنما حبيب إليه النساء لينقلن عنه ما لا يطلع عليه الرجال من أحواله ويستحيا من ذكره. وقيل: حبيب إليه زيادة في الابتلاء في حقه حتى لا يلهو بما حبيب إليه من النساء عما كلف به من أداء الرسالة فيكون ذلك أكثر لمشاققة وأعظم لأجره وقيل غير ذلك. وأما الطيب فكأنه يحبه لكونه يتاجي الملائكة وهم يحبون الطيب وأيضا هذه المحبة تنشأ من اعتدال المزاج وكمال الخلقة وهو صلى الله تعالى عليه وسلم أشد اعتدالا من حيث المزاج وأكمل خلقه. ("حاشية السندي على سنن النسائي" / ٧ / ص ٦١).



## والطيب<sup>(٧٤)</sup>، وجعل قرّة عيني في الصلاة<sup>(٧٥)</sup>.

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: فلا عيب على الرجل في محبته لأهله، وعشقه لها، إلا إذا شغله ذلك عن محبة ما هو أنفع له، من محبة الله ورسوله، وزاحم حبه وحب رسوله، فإن كل محبة زاحمت محبة الله ورسوله، بحيث تضعفها وتقصصها فهي مذمومة. وإن أعانت على محبة الله ورسوله وكانت من أسباب قوتها فهي محمودة، ولذلك كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يحب الشراب البارد الحلو، ويحب الحلواء والعسل، ويحب الخيل، وكان أحب الثياب إليه القميص، وكان يحب الدباء، فهذه المحبة لا تزاحم محبة الله، بل قد تجمعهم والقلب على التفرغ لمحبة الله، فهذه محبة طبيعية تتبع نية صاحبها وقصده بفعل ما يحبه. فإن نوى به القوة على أمر الله تعالى وطاعته كانت قرية، وإن فعل ذلك بحكم الطبع والميل المجرد لم يُثَبِّ ولم يعاقب. وإن فاته درجة من فعله متقرباً به إلى الله. فالمحبة النافعة ثلاثة أنواع: محبة الله ومحبة في الله، ومحبة ما يعين على طاعة الله تعالى واجتناب معصيته. ("إغاثة اللهفان" / ٢ / ص ١٤٠).

<sup>(٧٤)</sup> قال الإمام ابن القيم رحمه الله: والطيب غذاء الروح التي هي مطية القوى تتضاعف وتزيد بالطيب، كما تزيد بالغذاء والشراب، والدعة والسرور، ومعاشرة الأحبة، وحدوث الأمور المحبوبة، وغيبة من تسر غيبته، ويثقل على الروح مشاهدته، كالثقلاء والبغضاء، فإن معاشرتهم توهن القوى، وتجلب الهم والغم، وهي للروح بمنزلة الحمى للبدن، وبمنزلة الرائحة الكريهة. ("زاد المعاد" / ٤ / ص ٣٠٨-٣٠٩).

<sup>(٧٥)</sup> قال الإمام ابن القيم رحمه الله: فقرة العين فوق المحبة، فجعل النساء والطيب مما يحب، وأخبر أن قرّة العين التي يطمئن القلب بالوصول إليها ومحض لذته وفرحه وسروره وبهجته إنما هو في الصلاة التي هي صلة بالله وحضور بين يديه ومناجاة له واقتراب منه، فكيف لا تكون قرّة العين، وكيف تفر عين المحب بسواها. فإذا حصل للنفس هذا الحظ الجليل فأَيُّ فقر يخشى معه، وأي غنى فاتها حتى تلتفت إليه؟ ولا يحصل لها هذا حتى ينقلب طبعها ويصير مجانسا لطبيعة القلب، فتصير بذلك مطمئنة بعد أن كانت لوامة، وإنما تصير مطمئنة بعد تبادل صفاتها وانقلاب طبعها، لاستغناء القلب بها وصل إليه من نور الحق جل جلاله، فجرى أثر ذلك النور في سماعه وبصره وشعره وبشره وعظمه ولحمه ودمه وسائر مفاصله، وأحاط بجهاته من فوقه

ففي هذا دلالة ظاهرة على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن دينه رهبانية مبتدعة بل قد صرح بهذا في حديث عائشة عند "مصنف عبد الرزاق" (٧٦) أنها قالت: دخلت امرأة عثمان بن مظعون، اسمها خولة بنت حكيم على عائشة، وهي باذة الهيئة، فسألتها: ما شأنك؟ (٧٧) فقالت: زوجي يقوم الليل، ويصوم النهار، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم، فذكرت ذلك له عائشة، فلقي النبي

---

وتحتة ويمينه ويساره وخلفه وأمامه، وصارت ذاته نورا وصار عمله نورا، وقوله نورا، ومدخله نورا ومخرجه نورا وكان في مبعثه ممن انبهر له نوره فقطع به الجسر.

وإذا وصلت النفس إلى هذه الحال استغنت بها عن التطاول إلى الشهوات التي توجب اقتحام الحدود المسخوطة، والتقاعد عن الأمور المطلوبة المرغوبة، فإن فقرها إلى الشهوات هو الموجب لها التقاعد عن المرغوب المطلوب، وأيضا فتقاعدها عن المطلوب بينهما موجب لفقرها إلى الشهوات، فكل منهما موجب للآخر، وترك الأوامر أقوى لها من افتقرها إلى الشهوات، فإنه بحسب قيام العبد بالأمر تدفع عنه جيوش الشهوة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

(انتهى من "طريق المجرتين" / ص ٤٠).

(٧٦) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه (١٠٣٧٥) وأحمد (٢٥٨٩٤) وابن حبان (٩)، وهو حديث صحيح.

(٧٧) قال الإمام الشوكاني رحمه الله: واستنكار عائشة عليها ترك الخضاب والطيب يشعر بأن ذوات الأزواج يحسن منهن التزين للأزواج بذلك. ("نيل الأوطار" / ٦ / ص ٢٣٠).

صلى الله عليه وسلم، فقال: «يا عثمان، إن الرهبانية لم تكتب علينا»<sup>(٧٨)</sup>، أما لك في أسوة؟ فوالله إن أخشاكم لله وأحفظكم لحدوده لأنا».

قالت عائشة رضي الله عنها: (تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال، وبني بي في شوال)

ما هو الزواج بالمرأة؟ وما هو البناء بالمرأة؟

الزواج بها هو العقد، فإن حصل الدخول بها بعد الزفاف يكون هو هو الابتناء والبناء. قال ابن الأثير رحمه الله "النهاية في غريب الحديث والأثر"<sup>(٧٩)</sup> عند حديث أنس رضي الله عنه «كان أول ما أنزل الحجاب في مبتنى رسول الله

---

<sup>(٧٨)</sup> قال شيخ الإسلام رحمه الله: وفي الصحيحين عن سعد قال: رد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عثمان بن مظعون التبتل ولو أذن له لاختصينا. والزهد النافع المشروع الذي يحبه الله ورسوله هو الزهد فيما لا ينفع في الآخرة. فأما ما ينفع في الآخرة وما يستعان به على ذلك فالزهد فيه زهد في نوع من عبادة الله وطاعته. والزهد إنما يراد لأنه زهد فيما يضر أو زهد فيما لا ينفع. فأما الزهد في النافع فجهل وضلال، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: (احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز). والنافع للعبد هو عبادة الله وطاعته وطاعة رسوله. وكلما صده عن ذلك فإنه ضار لا نافع. ثم الأنفع له أن تكون كل أعماله عبادة لله وطاعة له. وإن أدى الفرائض وفعل مباحاً لا يعينه على الطاعة فقد فعل ما ينفعه وما لا ينفعه ولا يضره. ("جامع الرسائل لابن تيمية" / ٢ / ص ١٤٠).

<sup>(٧٩)</sup> (١ / ص ١٥٨).

صلى الله عليه وسلم بزینب»: الابتناء والبناء: الدخول بالزوجة. والأصل فيه أن الرجل كان إذا تزوج امرأة بنى عليها قبة ليدخل بها فيها، فيقال بنى الرجل على أهله. انتهى.

إذن، تزوجها رسول الله في شوال، وكان البناء عليها في شوال.

قال الإمام النووي رحمه الله<sup>(٨٠)</sup>: فيه استحباب التزويج والتزوج والدخول في شوال. وقد نص أصحابنا على استحبابه واستدلوا بهذا الحديث. وقصدت عائشة بهذا الكلام رد ما كانت الجاهلية عليه وما يتخيله بعض العوام اليوم من كراهة التزوج والتزويج والدخول في شوال، وهذا باطل لا أصل له، وهو من آثار الجاهلية كانوا يتطيرون بذلك لما في اسم شوال من الإشالة والرفع. انتهى.

طيب يا إخوان، لماذا أثارت أم المؤمنين هذه القضية وحثت على ذلك في شهر شوال؟ إنها أرادت الرد على أهل الجاهلية لأنهم كانوا يشأمون في شهر شوال، ويؤخرون الزواج والسفر إلى شهر آخر بسببه.

<sup>(٨٠)</sup> "شرح النووي على مسلم (٩/ ص ٢٠٩).

وهذا نحو تشاؤم قوم آخرين الذين يزعمون أن شهر صفر شهر الشؤم، فإذا ما دخلوا شهر صفر يتوقفون عن أعمالهم وعقودهم وأنكحتهم حتى ينسلخ شهر صفر، ويقولون: صفر عديم الظفر. وإذا حلّ صفر حلّ دبر. بمعنى: أنه دبور<sup>(٨١)</sup>.

الله أكبر، الأشهر عند الله سواء، من حيث إن من كان تقيا وفق الله في أعماله، ومن كان فاجرا فإنه تحت سخط الله حتى ولو كان في ليلة السابع والعشرين من رمضان، وحتى ولو كان من العشر الأوّل من ذي الحجة، في الليالي والأيام المباركة إذا كان العبد عاصياً أخذه الله بذنوبه. وإذا كان العبد برّاً تقيّاً سالكاً مسلك الصراط المستقيم فإن الله وفقه بالعناية والرعاية في شوال كان أو في

---

<sup>(٨١)</sup> فردّ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «لا عدوى ولا طيرة، ولا هامة ولا صفر، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد». (أخرجه صحيح البخاري (٥٧٠٧) ومسلم (٢٢٢٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه).

قال القاضي عياض رحمه الله: ويحتمل أن يكون نفيا لما يتوهم أن شهر صفر تكثر فيه الدواهي والفتن. ("مرقاة المفاتيح" / للقاري / ٧ / ص ٢٨٩٤).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: ولكن قوله في الحديث: (ولا عدوى ولا صفر ولا هامة) يدل على أن المراد النفي وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيتها والنفي في هذا أبلغ من النفي لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره والنهي إنما يدل على المنع منه. ("مفتاح دار السعادة" / ٢ / ص ٢٣٤).

صفر كان أو في أي شهر من الشهور، فعليك أن تتوكل على الله وأن تترك عادة أهل الجاهلية<sup>(٨٢)</sup> فإنها تعول عليك بقدرح التوحيد، فإن توحيد الله أعظم حقوقه عليك في الدنيا<sup>(٨٣)</sup>.

---

<sup>(٨٢)</sup> إن الله يبغض سنة الجاهلية. عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة جاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليريق دمه». (أخرجه البخاري (٦٨٨٢)).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: فكل من أراد في الإسلام أن يعمل بشيء من سنن الجاهلية دخل في هذا الحديث. والسنة الجاهلية كل عادة كانوا عليها فإن السنة هي العادة وهي الطريق التي تتكرر لنوع الناس مما يعدونه عبادة، أو لا يعدونه عبادة قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لتبعن سنن من كان قبلكم» والاتباع هو الاقتفاء والاستئناس، فمن عمل بشيء من سننهم فقد اتبع سنة جاهلية، وهذا نص عام يوجب تحريم متابعة كل شيء من سنن الجاهلية في أعيادهم وغير أعيادهم. ("الاقتضاء" / ١ / ص ٢٥٤ / مكتبة الرشد).

وليس المراد بالجاهلية مجرد أعمال العرب قبل البعثة. قال شيخ الإسلام رحمه الله: وكذلك كل ما يخالف ما جاءت به المرسلون من يهودية ونصرانية فهي جاهلية. ("الاقتضاء" / ١ / ص ٢٥٨ / مكتبة الرشد).

<sup>(٨٣)</sup> قال شيخ الإسلام رحمه الله: وهذا الأصل وهو التوحيد هو أصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين ديناً غيره وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، كما قال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مِنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه<sup>(٨٤)</sup> قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟»<sup>(٨٥)</sup> ، قال: الله ورسوله أعلم، قال: «أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حقهم عليه؟»، قال: الله ورسوله أعلم، قال: «أن لا يعذبهم»<sup>(٨٦)</sup>.

---

لا إله إلا أنا فاعبدون ﴿ وقال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة﴾ وقد ذكر الله عز وجل عن كل من الرسل أنه افتتح دعوته بأن قال لقومه: ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾. ("مجموع الفتاوى" / ١ / ص ١٥٤).

<sup>(٨٤)</sup> أخرجه البخاري (٧٣٧٣) ومسلم (٣٠).

<sup>(٨٥)</sup> قال الإمام ابن القيم رحمه الله: فمن أنفع ما للقلب النظر في حق الله على العبد. فإن ذلك يورثه مقت نفسه، والإزدراء عليها، ويخلصه من العجب ورؤية العمل، ويفتح له باب الخضوع والذل والانكسار بين يدي الله، واليأس من نفسه، وأن النجاة لا تحصل له إلا بعفو الله ومغفرته ورحمته، فإن من حقه أن يطاع ولا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر. فمن نظر في هذا الحق الذي لربه عليه علم علم اليقين أنه غير مؤد له كما ينبغي، وأنه لا يسعه إلا العفو والمغفرة، وأنه إن أحيل على عمله هلك. ("إغاثة اللهفان" / ١ / ص ٨٨).

<sup>(٨٦)</sup> قال الإمام ابن القيم رحمه الله: فالربّ سبحانه ما لأحد عليه حق، ولا يضيع لديه سعي. ("مدارج السالكين" / ٢ / ص ٣٣٩).

فهذا التوحيد الذي هو أكرم ما تنتقل به من دار الدنيا إلى دار القرار  
يخدشه التطير والتشأم<sup>(٨٧)</sup> لأن هذا منك اتكال على ما لا يعود عليك بنفع ولا  
بدفع كما كان الناس في الجاهلية يتطيرون بمسألة الأزلام ، وهي أواني من المعدن  
فيها شيء من القرعة: سافر أو لا تسافر، أعد القرعة. تزوج أو لا تزوج، أعد  
القرعة وهذا فيه اتكال على أواني من المعدن لا عقل لها ولا إدراك، فلذلكم حرم  
الله الأزلام كما حرم الخمر والأوثان والأصنام. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ  
وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ<sup>(٨٨)</sup> فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ  
تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠].

روى أهل السنة وأحمد في المسند<sup>(٨٩)</sup> عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الطيرة شرك، الطيرة شرك»<sup>(٩٠)</sup> ثلاثاً.

<sup>(٨٧)</sup> قال الإمام ابن القيم رحمه الله: والطيرة نوع من الشرك. ("حادي الأرواح" / ص ٨٨).

<sup>(٨٨)</sup> قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ومن أعظم مكايده: ما نصبه للناس من الأنصاب والأزلام، التي هي من  
عمله، وقد أمر الله تعالى باجتناب ذلك، وعلق الفلاح باجتنابه، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ  
وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠]. فالأنصاب: كل ما  
نصب يعبد من دون الله: من حجر، أو شجر، أو وثن، أو قبر. ("إغاثة اللهفان" / ١ / ص ٢٠٧)

<sup>(٨٩)</sup> أخرجه أحمد (٤١٩٤) وسنن أبي داود (٣٩١٠) وابن ماجه (٣٥٣٨). حديث صحيح.



وإذا كان شركاً فإنك تظلم توحيدك بهذا الشرك، وتظلم عبوديتك بهذا الشرك. فاحذر على نفسك فإن من الناس من يتشأم ببعض المسموعات، ومنهم من يتشأم ببعض المرئيات، ومنهم من يتشأم ببعض الأزمنة من الشهور والأيام، ومنهم من يتشأم ببعض الأمكنة، وكل هذا لا يجوز أن يتحلى به المسلم وأن يتخلق به المسلم<sup>(٩١)</sup>. فكيف إذا تبقى تشأم على نفسك؟ بالتوكل على الله إذا عزمت

---

<sup>(٩٠)</sup> قال الإمام ابن القيم رحمه الله: ولكن المؤمن لا يتطير. فإن التطير شرك. ولا يصده ما سمع عن مقصده وحاجته. بل يتوكل على الله ويثق به. ويدفع شر التطير عنه بالتوكل. ("مدارج السالكين" / ٢ / ص ٤٦٠).

<sup>(٩١)</sup> قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وفي صحيح مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي أنه قال: يا رسول الله ومنا أناس يتطيرون. فقال: (ذلك شيء يجده أحدكم في نفسه فلا يصدنه) فأخبر أن تأذية وتشاؤمه بالتطير إنما هو في نفسه وعقيدته، لا في التطير به. فوهمه وخوفه وإشراكه هو الذي يطيره ويصدّه؛ لا ما رآه وسمعه. فأوضح لأئمة الأمر وبين لهم فساد الطيرة، ليعلموا أن الله سبحانه لم يجعل لهم عليها علامة ولا فيها دلالة ولا نصبها سبباً لما يخافونه ويحذرونه لتطمئن قلوبهم ولتسكن نفوسهم إلى وحدانية تعالى التي أرسل بها رسله وأنزل بها كتبه وخلق لأجلها السموات والأرض وعمر الدارين الجنة والنار فبسبب التوحيد ومن أجله جعل الجنة دار التوحيد وموجباته وحقوقه والنار دار الشرك ولو أزمه وموجباته فقطع علق الشرك من قلوبهم لئلا يبقى فيها علقه منها ولا يتلبسوا بعمل من أعمال أهله البتة. ("مفتاح دار السعادة" / ٢ / ص ٢٣٤).

فتوكل على الله. قال الله عز وجل: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾<sup>(٩٢)</sup> [آل عمران:

[١٥٩]

تنصرف عن كل ما يصرفك عن الخير. إذا أردت زواجاً أو سفرًا في صبيحة اليوم فرأيت رجلاً أعرج أو أعور فكيف يضررك هذا وأنت قد توكلت على الله وأخذت بأسباب السلامة وهيأت الزاد والراحلة؟<sup>(٩٣)</sup> توكل على الله ولا

---

<sup>(٩٢)</sup> قال الإمام ابن كثير رحمه الله: وقوله: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: إذا شاورتهم في الأمر وعزمت عليه فتوكل على الله فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾. ("تفسير القرآن العظيم" / ٢ / ص ١٥٠).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: فإذا استحكم قصده صار عزمًا جازماً، مستلزماً للشروع في السفر، مقروناً بالتوكل على الله، قال تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. والعزم: هو القصد الجازم المتصل بالفعل، ولذلك قيل: إنه أول الشروع في الحركة لطلب المقصود، وأن التحقيق: أن الشروع في الحركة ناشئ عن العزم، لا أنه هو نفسه، ولكن لما اتصل به من غير فصل ظن أنه هو. وحقيقته: هو استجتماع قوى الإرادة على الفعل. ("مدارج السالكين" / ١ / ص ١٥٢).

<sup>(٩٣)</sup> قال الإمام ابن القيم رحمه الله: واعلم أن التطير إنما يضر من أشفق منه وخاف وأما من لم يبال به ولم يعبأ به شيئاً لم يضره البتة ولا سيما أن قال عند رؤية ما يتطير به أو سماعه: (اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت ولا حول ولا قوة إلا بك). فالطيرة باب من الشرك والقاء الشيطان وتخويفه ووسوسته يكبر ويعظم شأنها على من اتبعها نفسه واشتغل بها وأكثر العناية بها. وتذهب وتضمحل عمن لم يلتفت إليها ولا القى إليها باله ولا شغل بها نفسه وفكره. واعلم أن من كان معتنيًا بها قاتلاً بها كانت إليه أسرع من السيل إلى منحدر فتحت له أبواب الوسوس فيها

تنثني عن سفرك. فإن هذا منك يعد طيرة وإشراكا بالله. وأي سبب محقق يصرفك عن السفر أو عن الزواج توكل على الله. إن كان في قلبك شيء من التردد استخر ربك.

عن جابر رضي الله عنه<sup>(٩٤)</sup>، قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها<sup>(٩٥)</sup>، كالسورة من القرآن: «إذا همّ بالأمر فليركع

---

يسمعه ويراه ويعطاه، ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه، وينكد عليه عيشه.

فإذا سمع سفر جلا أو أهدي إليه تطير به وقال سفر وجلاء وإذا رأى ياسمينا أو سمع اسمه تطير به وقال: يأس ومين. وإذا رأى سوسنة أو سمعها قال: سوء يبقى سنه. وإذا خرج من داره فاستقبله أعور أو أشل أو أعمى أو صاحب آفة تطير به وتشاءم بيومه. ويحكى عن بعض الولاة أنه خرج في بعض الأيام لبعض مهماته فاستقبله رجل أعور فتطير به وأمر به إلى الحبس، فلما رجع من مهمه ولم يلق شراً أمر باطلاقه فقال له: سألتك بالله ما كان جرمي الذي حبستني لأجله؟ فقال له الوالي: لم يكن لك عندنا جرم ولكن تطيرت بك لما رأيتك. فقال: فما أصبت في يومك برؤيتي؟ فقال: لم ألق إلا خيراً. فقال أيها الأمير أنا خرجت من منزلي فرأيتك فلقيت في يومي الشر والحبس. وأنت رأيتني فلقيت في يومك الخير والسرور. فمن أشأنا؟ والطيرة بمن كانت؟ فاستحيا منه الوالي ووصله.

("مفتاح دار السعادة" / ٢ / ص ٢٣٠-٢٣١).

<sup>(٩٤)</sup> أخرجه البخاري (٦٣٨٢).

<sup>(٩٥)</sup> قال الإمام ابن القيم رحمه الله: فعوض رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته بهذا الدعاء، عما كان عليه أهل الجاهلية من زجر الطير والاستقسام بالأزلام الذي نظيره هذه القرعة التي كان يفعلها إخوان المشركين،

ركعتين<sup>(٩٦)</sup> ثم يقول: اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك<sup>(٩٧)</sup>،  
وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر، وتعلم ولا أعلم<sup>(٩٨)</sup>، وأنت

---

يطلبون بها علم ما قسم لهم في الغيب، ولهذا سمي ذلك استقساماً، وهو استفعال من القسم، والسين فيه للطلب وعوضهم بهذا الدعاء الذي هو توحيد وافتقار، وعبودية، وتوكل، وسؤال لمن بيده الخير كله الذي لا يأتي بالحسنات إلا هو، ولا يصرف السيئات إلا هو الذي إذا فتح لعبده رحمة لم يستطع أحد حبسها عنه، وإذا أمسكها لم يستطع أحد إرسالها إليه من التطير والتنجيم واختيار الطالع ونحوه. فهذا الدعاء، هو الطالع الميمون السعيد، طالع أهل السعادة والتوفيق، الذين سبقت لهم من الله الحسنى، لا طالع أهل الشرك والشقاء والخذلان، الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر، فسوف يعلمون.

فتضمن هذا الدعاء الإقرار بوجوده سبحانه، والإقرار بصفات كماله من كمال العلم والقدرة والإرادة، والإقرار بربوبيته، وتفويض الأمر إليه، والاستعانة به، والتوكل عليه، والخروج من عهدة نفسه، والتبري من الحول والقوة إلا به، واعتراف العبد بعبجزة عن علمه بمصلحة نفسه وقدرته عليها، وإرادته لها، وأن ذلك كله بيد وليه وفاطره وإله الحق.

("زاد المعاد" / ٢ / ص ٤٠٥).

<sup>(٩٦)</sup> قال ابن حجر رحمه الله: والمراد بصلاة الاستخارة أن يقع الدعاء عقبها أو فيها ويبعد الأجزاء لمن عرض له الطلب بعد فراغ الصلاة لأن ظاهر الخبر أن تقع الصلاة والدعاء بعد وجود إرادة الأمر. وأفاد النووي أنه يقرأ في الركعتين الكافرون والإخلاص. قال شيخنا في "شرح الترمذي": لم أقف على دليل ذلك ولعله ألحقها بركعتي الفجر والركعتين بعد المغرب. ("فتح الباري" / ١١ / ص ١٨٥).

<sup>(٩٧)</sup> قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وإنما سأل القدرة التي توجب الفعل فعلم أنها مقدورة لله ومخلوقة له وأكد ذلك بقوله: "فإنك تقدر ولا أقدر" أي تقدر أن تجعلني قادراً فاعلاً ولا أقدر أن أجعل نفسي. ("شفاء العليل" / ص ١١٠).

علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: في عاجل أمري وآجله - فاقدره لي ويسره لي<sup>(٩٩)</sup> ثم بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري - أو قال: في عاجل أمري وآجله - فاصرفه عني واصرفني عنه<sup>(١٠٠)</sup>، واقدر لي الخير حيث كان، ثم رضني به<sup>(١٠١)</sup>، ويسمي حاجته<sup>(١٠٢)</sup>.

---

<sup>(٩٨)</sup> قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وكذلك قوله: "تعلم ولا أعلم" أي حقيقة العلم بعواقب الأمور ومآلها والنافع منها والضار عندك وليس عندي. ("شفاء العليل" / ص ١١٠).

<sup>(٩٩)</sup> قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وقوله يسره لي أو اصرفه عني فإنه طلب من الله تيسيره إن كان له فيه مصلحة وصرفه عنه إن كان فيه مفسدة. وهذا التيسير والصرف متضمن إلقاء داعية الفعل في القلب أو إلقاء داعية الترك فيه ومتى حصلت داعية الفعل حصل الفعل وداعية الترك امتنع الفعل. ("شفاء العليل" / ص ١١٠).

<sup>(١٠٠)</sup> قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وقوله: "فاصرفه عني واصرفني عنه" صريح في أنه سبحانه هو الذي يصرف عبده عن فعله الاختياري إذا شاء صرفه عنه كما قال تعالى في حق يوسف الصديق: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ﴾ وصرف السوء والفحشاء هو صرف دواعي القلب وميله إليهما فينصرفان عنه بصرف دواعيهما. ("شفاء العليل" / ص ١١٠-١١١).

<sup>(١٠١)</sup> قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وقوله: "ثم رضني به" يدل على أن حصول الرضا وهو فعل اختياري من أفعال القلوب أمر وقدور للرب تعالى وهو الذي يجعل نفسه راضياً. ("شفاء العليل" / ص ١١٠).

قول عائشة: فأني نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحظى عنده

مني؟

أي: أكثر حظاً وأكثر سعادة مني؟

ولا أدلّ على ذلك من الأحاديث التي ذكرناها في مطلع الخطبة.

نسأل الله أن ينفعنا بما سمعنا وأن يرزقنا علماً بما ينفعنا.

اللهم أعزّ الإسلام وانصر المسلمين، اللهم أذلّ الشرك والمشركين، اللهم  
قاتل الكفرة المحلدين أعداءك أعداء الدين اللهم اجعل لنا من كل همّ فرجاً ومن  
كل ضيق مخرجاً، ومن كل عسر يسراً، ومن كل بلاء عافية، اللهم لا تدع لنا ذنباً  
إلا غفرته، ولا همّاً إلا فرّجته، ولا دين إلا قضيته، ولا حاجة إلا يسرتها يا رب  
العالمين. اللهم اجعل بلدنا هذا آمناً مطمئناً سخاء رخاء وسائر بلاد المسلمين.  
اللهم من أراد ببلدنا هذا شراً فاجعل كيده في نحره واجعل تدبيره في تدميره  
واكف المسلمين شرهم يا رب العالمين.

---

(١٠٧) قال شيخ الإسلام رحمه الله: فإذا استخار الله كان ما شرح له صدره وتيسر له من الأمور هو الذي اختاره الله له. إذ لم يكن معه دليل شرعي على أن عين هذا الفعل هو مأمور به في هذه الحال فإن الأدلة الشرعية إنما تأمر بأمر مطلق عام لا بعين كل فعل من كل فاعل إذ كان هذا ممتنعاً. ("مجموع الفتاوى" / ١٠ / ص ٥٣٩).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

صنعاء، ٢٩ شوال ١٤٣٦ هـ